15ème Année No. 733

Lundi — 21 — 7 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٢١ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الأدب بين الوجدان والتفكير

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . إن القارىء يفهم من بعض الكتب الحديثة أن الأدب فن ، والفن يختص بالوجدان، فعلى ذلك ماذا يكون حكمنا على الإنتاج الذى يغلب عليه الطابع الفكرى ؟ أرجو أن أقرأ ردكم على صفحات الرسالة ، ولكم وافر الشكر والسلام .

فتحى السمان محمد

***

إذا قلنا إن الأدب « يختص » بالوجدان ففى هــذا القول جانب كبير من الصواب .

ولكننا إذا قلنا هذا وسكتنا عليــه فقد يفوتنا أكثر الصواب ، وكأننا لم نقل شيئاً يجمع الفائدة من المعنى المقصود فى هذا الباب .

فأى وجدان هو هذا الوجدان الذى يعتمد عليه الأدب أو يعتمد عليه الفن أو الفنون على التعميم ؟

إن الإنسان الهمجى له وجدان وشعور ، ولكن وجدانه يكتفى بما يكفى غريزة الحيوان أو يزيد قليلا على غريزة الحيوان .

والإنسان « الصوفى » له وجدان وشعور ، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره على عقول الكثيرين أو الأكثرين فليس شرط الوجدان أن يكون مقصوراً على أجهل الناس وأعجزهم عن التفكير .

لأننا لا نرادف بين معنى الجهل ومعنى الوجدان فى اللغة ولا فى مصطلحات الفنون والعلوم .

***

هذه حقيقة من الحقائق التى يحسن بنا أن نحضرها فى أخلادنا حين نعرض لحديث الفن والوجدان .

وحقيقة أخرى ينبغى أن نحضرها فى أخلادنا أبداً لأن إغفالها يفسد كل تعريف مفيد فى هذا الباب ، وهى أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير ، وشاهدنا على ذلك أدب الفحول من شعراء الأمم العالميين ، ومنهم أمثال شكسبير وجيتى والخيام وأبو الطيب .

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة فيهم يجعلها أقمن بالصدق على الأدباء الناثرين .

فأغانى شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التى يمتزج فيها الفهم بالشعور ، ودع عنك قصائده التى نظمها فى الروايات أو أجراها على ألسنة الرجال والنساء . فإن شعر الأغانى أحق شعر أن يقصر على « الوجدان » إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير .

وقصة « فاوست » الكبرى — وهى أعظم أعمال جيتى — هى فلسفة الحياة والبقاء ، وفلسفة الخير والشر ، وفلسفة المعرفة والضمير .

وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق أو معادلات الرياضة والكيمياء

ورباعيات الخيام يصح أن تسمى « فكر الخيام » لأن الرباعية منها تدور على فكرة أو خلاصة أفكار ، ولا يمنعها الشعور أن تكون شعور إنسان من المفكرين .

والحكم على المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات .

وليس في قصائد المتنبي قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفكر فيها ، أو إنها وجدان بغير تفكير .

ومن أمثلة ذلك هذه « القضية » التي صاغها في بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

أو هذه القضية التي صاغها في هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

أو هذه التقسيمات الوافية التي يقول فيها .

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

فإن التفكير إذا ذهب في هذا المعنى إلى غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة في الحقائق . وهي شروط صفاء العيش في حكمة هذا الحكيم ، أو في شعور هذا الإنسان .

وندع الشعر إلى الغناء والموسيقى ، وقد يخلوان من اللفظ ولا يخلوان من التفكير .

فنشيد الرعاة وجدان .

وألحان فاجنر وجدان .

ولكن الفرق بين الوجدانين كأبعد فرق بين شيئين بوجدان في طبيعة إنسان .

* * *

ومن الحقائق التي تحضر في هذا السياق أن نقص الفكر ليس زيادة في الحس والوجدان ، وأن زيادة الفكر لا تمنع الإنسان أن يحس وأن يتسع وجدانه لأوسع آفاق الحياة .

فقد ينقص فكر الإنسان وينقص حسه على السواء ، ومزية الإنسان دائماً أن يحس أنه يفكر وأن يفكر أنه يحس ، وأن يكون نصيبه من الإنسانية على قدر نصيبه من الفكر والإحساس ، فليس هو بإنسان كامل إذا خلا من التفكير ، ولا يكون الأدب كاملا وهو يعبر عن إنسان ناقص في ألزم مزاياه .

* * *

وللأدب بحوث غير بحوث العلم والدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية .

فهل تحسب هذه من الأدب أو لا تحسب منه لأنها تحتاج إلى التفكير ؟ وهل يمكن أن يتم بحث بغير تفكير ولو كان من البحوث في الشعر والإحساس ؟

فالبحوث الأدبية أدب وليست علماً بالمعنى المعروف للعلوم التجريبية ، لأن البحوث العلمية تتفق في النتيجة ولو جرت على أيدي مئات من العلماء . وقد يبحث ألف ناقد في ديوان واحد ثم يخرجون منه وكل منهم ينقض أقوال الآخرين أو لا يلتقي بهم في موضع لقاء . وإنما يفعلون ذلك لأن الباحث منهم يعتمد في فهم المعنى على مرجعه من الإحساس ، فيفهم الإحساس على وجه ويفهمه غيره على وجوه . ولا يقال من أجل ذلك إنهم ينبغي ألا يفهموا أو لا يفكروا لأنهم يحسون !

وبعد ، فإن الإحساس طبقات وليس بطبقة واحدة بين جميع الناس .

وكل طبقة من هذه الطبقات فهي لغز مغلق بالنسبة إلى من يقفون دونها ولا يرتفعون إليها ، فإذا عبر أحد منها عن شعوره ولم يفهمه الذين يقصرون عنها ويهبطون دونها فليس ذلك بمخرجه من أفق الشعور الذي هو فيه ، ولكنه يخرجهم هم من ذلك الأفق الرفيع .

ولعلنا بحاجة إلى التنبيه إلى سخافة شائعة في مصر والشرق بين أدعياء الإحساس ممن لا يحسون ولا يفكرون ، وهي اعتقادهم أن الإحساس والتخنث مترادفان . ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس ، لأنه يحس في زعمه بمقدار ما يتراخى ويتخاذل ويئن وينوح !

وأحوج ما يحتاج إليه هؤلاء المتأنثون « مزعج » قوي ينقذهم من « فرط الإحساس » على مذهبهم الذي لا فرق فيه بين فرط إحساسهم وبين الموت ... أو الإغماء على أهون تقدير :

٤ ـ رحلة إلى الهـــــند

المسلمون والمؤتمر الآسيوى

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

فى الهند اليوم حزبان يسيطران على شئونها : حزب الرابطة الإسلامية « Muslim Leeg » وحزب المؤتمر « All India Congress » . والأول يمثل مسلمى الهند إلا قليلا . والثانى يمثل الهنادك وقليلا من المسلمين . وكان الحزبان على وفاق ، كلٌّ يسير فى طريقه غير محادّ الآخر . وكان زعماء الرابطة ، ومنهم السيد جناح ، عاملين فى حزب المؤتمر .

وقد حدثت شئون انتهت إلى القطيعة بين الحزبين سنة ١٩٣٧ وأبانت عن اختلافهما كل الاختلاف على الهند بعد استقلالها . أتقوم فيها دولة واحدة أم دولتان إحداهما إسلامية فى أقاليم تسمى باكستان ، والأخرى هندوكية فى أقاليم أخرى تسمى هندوستان .

ولست فى مجال الإبانة عن هذا الخلاف ، فقد تكلمت فيه من قبل ، ونشرت فى الصحف ما يغنى عن إعادة القول ، وحسبى أن أقول هنا : إن المؤتمر الآسيوى دعا إليه معهد يسمى « المعهد المندى لشئون العالم » ، وهو ذو صلة وثيقة بحزب المؤتمر . وكان لهذا الحزب الإشراف على المؤتمر الآسيوى والسيطرة عليه ، فرأت الرابطة الإسلامية أن تقاطعه .



الكاتب يوقع لبعض الصبايا الهنديات فى المؤتمر

وكانت وفود الدول الإسلامية فى حرج من هذه المقاطعة ، وكثيراً ما سئلوا : ألم تعلموا أن المسلمين قاطعوا هذا المؤتمر ؟ ألا تعطفون على مسلمى الهند ؟ الخ .

وقد اختلفت الإجابة عن هذه الأسئلة ، واتفق المسئولون على أنهم يهتمون كل الاهتمام ، ويعطفون كل العطف على مسلمى الهند .

وقد انتهى الجدال إلى الإجماع على أن قدوم الوفود الإسلامية إلى الهند فى ذلك الحين ، وشهودها هذا المؤتمر ينفع مسلمى الهند ولا يضرهم ، إذ يبصر البلاد الإسلامية بأحوال الهند ، ويعرفهم بحقيقة الأمر فيما شجر من خلاف بين المسلمين والهنادك .

ونشر بعض الوفود الإسلامية كلمة أعربوا فيها عن رأى الوفود الإسلامية كلها ، هى أن اشتراكهم فى المؤتمر لا يدل على تأييدهم حزباً من أحزاب الهند ، وأن هذا المؤتمر كما دُعوا إليه

صفعة على القفا هى « جرعة » نافعة ناجعة فى علاج هذا الداء . صفعة على القفا بقلم الكاتب ، إن لم تكن بالقلم المعهود فى لغة الأكف والأقفاء !

ونخلص من هذا جميعه إلى قول واحد يجمل جميع الأقوال فى الفن والأدب ، وهو أن الفن والأدب وجدان ولكنه وجدان إنسان ، ولا يكمل الإنسان بغير ارتفاع فى طبقة الحس وارتفاع فى طبقة التفكير ، فلا يخلو الأدب المعبر عنه من هذا وذاك ، ولا يقاس نصيبه من الحس بمقدار نقصه فى التفكير ، ولا يقال إنه أحس تماماً لأنه لم يفكر تماماً ؛ بل يقال إن التمام فى مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير .

عباس محمود العقاد

وشهدوه ليس سياسياً .

وكان من الداعين إلى المؤتمر والناصرين له جمعية علماء الهند ، وقد حرصت طائفة منها على الاتصال بالوفود الإسلامية والتحدث إليهم فى الخلاف بين الرابطة والمؤتمر ، ثم دعوا وفود البلاد الإسلامية إلى حفلة فى فندق كبير حضرها مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف فى الحكومة الموقوتة ، وشهدها كذلك جواهرلال نهرو رئيس هذه الحكومة ، ووزعت على الحاضرين صحيفة كبيرة بالأردية فيها ترحيب بالوفود وبيان لمكانة جمعية العلماء فى الهند وتاريخها فى الجهاد للاستقلال ، ورسالة صغيرة بالعربية فى هذا المعنى .



الدكتور عبد الوهاب عزام مع السيد محمد على جناح رئيس الرابطة الإسلامية فى داره بدهلى الجديدة

وبعض المعاهد الإسلامية كالجامعة الملية الإسلامية فى دهلى ضالعة مع المؤتمر أيضاً ؛ ولكن الجمهرة العظمى من المسلمين يؤازرون الرابطة الإسلامية .

وقد حرص القائمون على المؤتمر الآسيوى ، لهذا الخلاف بينهم وبين الرابطة ، على أن تشترك الحكومات الإسلامية فيه ، وأرسلوا دعاتهم إلى بعض الأقطار ليعملوا على استجابة المسلمين دعوتهم ، ولا سيما البلاد العربية .

وقد حرصنا على لقاء زعماء الرابطة لنزيل استياءهم من حضورنا المؤتمر ، ولنعرف حقيقة الخلاف بينهم وبين حزب المؤتمر .

وقد زرت رئيس الرابطة فى داره أنا والسيد تقى الدين الصلح مندوب الجامعة العربية والساعة إحدى عشرة ونصف من صباح يوم . فتكلمنا عن اشتراكنا فى المؤتمر ، فسأل هل قرأت جريدة الفجر « Saun » — وهى لسان الرابطة باللغة الأنكليزية — ثم تناول عدداً منها قرأ فيه شيئاً عن اشتراك الوفود الإسلامية فى المؤتمر وتقدير مسلمى الهند نواياهم ، واعترافهم بأن شهود المؤتمر عسى أن يكون خيراً : وقال إن هذا ينهى الكلام فى هذا الموضوع .

وقد تحدثت عن مؤتمر إسلامى يجتمع فى الهند أو حيث يشاء المسلمون ويتناول البحث فيه شئوناً إسلامية كثيرة ولا سيما شئون مسلمى الهند . وتحدثنا فى أمور كثيرة كلها متصلة بالشئون الإسلامية ، وانتهى حديثنا والساعة واحدة وربع على أن نلتقى يوم السبت الآتى .

ولما التقينا فى الموعد حدثناه عن عبد الغفار خان زعيم ولاية الحدود ، والذى يتقيَّل غاندى ويصاحبه كثيراً حتى سمى غاندى الحدود . وكان عبد الغفار قد حدثنى مرة والمؤتمر على مائدة حضرها نهرو وبعض أعضاء المؤتمر ، ومرة أخرى حيث يقيم مع غاندى فشكا من الرابطة وقال إنه كتب إليهم طالباً أشياء يسيرة تكفل له إذا قامت دولة باكستان فلم يظفر منهم بجواب . وقال إن الإنكليز اضطهدونا فاستنجدنا الرابطة فلم تبال بنا ، وتطوع حزب المؤتمر لنصرتنا والدفاع عنا فكان ميل الناس من ولايته إلى حزب المؤتمر طبيعياً . فنقلت هذه الشكوى إلى السيد جناح آملا أن أقرّب بينهما . فقال السيد جناح إنه لم يتلق رسالة ما من عبد الغفار خان وإن الحوادث التى يشير إليها الخان كانت سنة ١٩٢٩ ولم يكن للرابطة إذ ذاك قدرة على النجدة ولم تكن بلغت من الشأن والنظام مابلغت . ثم قال ومع هذا كافحت كثيراً من أجلهم حتى نالوا ما نالوا من النظام الذى يتمتع به الأقليم اليوم . وقال فليدخل عبد الغفار خان فى الرابطة ثم يطلب ما يشاء . ولست مسيطراً على الرابطة ولكنى واحد منها فلا أستطيع أن أمنح

القسم السارسي :

فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزي بك

بدأ الفرنسيون تنفيذ برنامجهم الإصلاحي على مراحل في مراكش ، فقد نقلت إلينا الأنباء البرقية طرفاً من أخبارهم وهي تتلخص في بعض تغييرات إدارية أدخلوها ذراً للرماد في العيون فقالوا إن الوزارة ستتألف من عشرة وزراء مراكشيين وعشرة من الفرنسيين واختير مستشار فرنسي يبحث القوانين واللوائح قبل عرضها على السلطان ، وصرح فرنسي مسئول بأن فرنسا تريد تحويل مراكش إلى دولة ديمقراطية حديثة كما ترغب بإخلاص في زيادة مسئولية المراكشيين في حكم أنفسهم . وهذه نواح جديرة بالبحث والتأمل .

ولقد كنا أول من أذاع شيئاً عن اجتماع الدار البيضاء الذي حضره روزفلت وجيرو وديجول الفرنسيين وقلنا إن أراضي تونس والجزائر ومراكش كانت وديعة بيد الحلفاء ، وقد أعيدت للسلطات الفرنسية بعد أن تعهد رجالها لروزفلت أن تسير هذه البقاع في ركب الحضارة نحو الحرية وتقرير المصير ؛ ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وإنما تحت ستار الإصلاحات الجديدة وتحويل مراكش إلى دولة حديثة وزيادة مسئولية المراكشيين في حكم أنفسهم ، تقدم فرنسا للعالم المتمدين مشروعاً استعمارياً له خطورته لأنه ضربة جديدة موجهة إلى استقلال مراكش وحريتها ومستقبلها ، ولذلك لم نستغرب أن رفض الأحرار المراكشيون هذه السياسة ونددوا بها وقالوا عنها « إنها تريد أن تغتصب البقية الباقية من مظاهر وجودهم . ونحن الذين تابعوا قضية المغرب من يوم أنزل الحلفاء جنودهم ، وأنصتوا طويلا إلى أقوال قواد الحلفاء وبعض رجال السياسة الذين تحدثوا عن مستقبل هاتيك البلاد وعرفوا الكثير من تحمس رجال فرنسا وتمسكهم بوحدة أمبراطوريتهم ورفضهم الدخول في أي حديث يشتم منه طلائع الحرية والاستقلال لشعوب المغرب ، ولم نتردد في أن نجهر بالقول أو أعد بما لم تأذن به .

وحدثته في تقسيم الهند وفي انحياز إقليم في باكستان إلى دولة هندوستان أو العكس ، وفي دعوة المؤتمر والرابطة في ولاية الحدود الشمالية الغربية . فقال إنه لا يملك أن يمنع الناس من الانحياز إلى الجانب الذين يرغبون في الانحياز إليه ، وإنه يعترف لأهل هذه الولاية بحقهم في الانحياز إلى هندوستان إن أرادوا . ولكن الرأي في هذا الأمر ليس لعبد الغفار خان وأمثاله ولكنه لجمهور الناس . هم الذين يفصلون في انضمامهم إلى أحد الجانبين .

وتكلمنا عن مصر والسودان ، فقال لا ترجعوا عن مطالبكم في السودان قيد شعرة . وانتقل الحديث إلى فلسطين فوكد حق العرب فيها وأوصى بألا تكون موضع مساومة .

وعدنا إلى الحديث عن مؤتمر إسلامي فاستحسن الرأي وقال سننظر أيكون في كراتشي أو دهلي أو مكان آخر .

ورجع إلى حديث عبد الغفار خان فوكد ما قاله من قبل غاضباً متحدياً . وفي ختام الحديث قال أبلغ رئيس الوزراء النقراشي باشا أني لا أزال أذكر حديثه الودي وحفاوته بي ومبالغته في إكرامي حينما مررت بالقاهرة ؟

ثم سأل كاتبه هل أعد رسالة عزام باشا ، فعرض عليه صحيفة مرقومة(١) فأخذ عليه بعض الغلط وردها إليه فأصلحها . وقد حمل هذه الرسالة السيد تقي الدين الصالح مندوب الجامعة العربية في المؤتمر .

وقد تحدث عن باكستان في الرتبين حديث المجاهد الوفي على غايته ، الواثق بظفره . وكان في حجرته لوح صغير عليه خريطة باكستان الغربية والشرقية من الذهب أو مذهبة .

وهو رجل طويل نحيف معروق يجلل رأسه شعر أشمط يوحي إلى محدثه العزم والمضاء بكلماته وإشاراته .

وقد جزى الله جهاده وإخلاصه هو وأنصاره أن ظفروا بما أرادوا وبلغوا ما رجوا والله ولي توفيقهم .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

(١) مرقومة : مكتوبة بالرقم وهي كلة وضعتها للآلة الكاتبة المسماة تايبرايتر .

لإخواننا أهل المغرب[1] أن الخطر الذى يبدو لنا هو أن نوفق فرنسا لإقناع العالم أن سياسة الاتحاد الفرنسى مشروع إنسانى يدعو إلى رفع مستوى الشعوب وبعد تنفيذه تحقيقاً لما وعدوا به روزفلت فى اجتماع الدار البيضاء، أو أنه مرحلة فى طريق الرقى الاجتماعى.

ومراكش ليست دولة فى مجاهل الدنيا حتى تدرب على حكم نفسها. وقد عاصرت القرون وكانت أمجادها وبطولتها مضرب الأمثال، فهى دولة مستقلة ذات سيادة وصولة وتاريخ وشخصية قبل أن تعرف فرنسا شيئاً من ذلك، وهى أمة موحدة قبل أن تحقق فرنسا وحدتها الإقليمية فى قارة أوروبا، ولإخواننا المراكشيين جولات فى إفريقيا وفى القارة الأوروبية، وبين ملوك مراكش وملوك فرنسا مكاتبات ومعاهدات قديمة عامل فيها كل واحد الآخر معاملة الند للند.

لهذا كله دهشنا من موقف فرنسا ورجالها بعد سنة ١٩١٢ وموقفها اليوم فى سياسة المقيم العام التى يريد أن يفرضها على دولة قائمة ذات سيادة وسلطان وشخصية دولية. وكنا نؤمل أن تغير دروس الماضى بعد الحرب العالمية الأولى، ثم بعد الحرب العالمية الثانية، شيئاً من أساليبهم وعقليتهم، ومراكش بلاد لم تفتح وإنما تعاهد سلطانها معهم وحالفهم على شروط معلومة، فإذا هم ينتزعون البلاد انتزاعاً، ويصبح المقيم العام سلطاناً وحكومة، يجمع السلطات كلها بين يديه من تنفيذ وتشريع وقضاء، ويسيطر رجاله على الشئون المالية والاقتصادية والإنشائية، ويضع يده على الحبوس والأوقاف، وينتزع أملاك الدولة فيوزعها على المستعمرين من الفرنسيين.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ضربت بالمواثيق والعهود التى أخذتها الدول عليها عرض الحائط، فهى لم تحترم ما جاء باتفاق الجزيرة سنة ١٩٠٧، ولا ما جاء بالاتفاقات التى أعقبت حادث أغادير المشهور، وكلها تنص على احترام سيادة سلطان مراكش ووحدة بلاده وبقائها بلاداً مفتوحة لتجارة الدول وميداناً للنشاط الأممى.

ولقد رأينا الأسلوب الفرنسى فى حكم البلاد التى نكبت به ينتزع السلطات جميعاً من أيدى الحكام الوطنيين فتصبح الحكومة المراكشية التى يطلق عليها إسم «المخزن» صورة لا تملك من الأمر شيئاً. وإذا بدار المقيم العام بيدها السلطات الفعلية: يتولاها بواسطة مستشاريه على الطريقة الفرنسية المباشرة التى رأيناها فى سوريا ولبنان أيام الانتداب. فتصور هذه الدار تتولى الأمن العام والجمارك والضرائب وتدير الأوقاف وتفتح المدارس وتغلق الكتاتيب، وبيدها التشريع والبرق والبريد، وتسيطر على النقد ووسائل المواصلات، وتمنح الأراضى لمن تشاء وتوزع الثروة على شركات الاحتكار والاستثمار.

هذه هى مناطق القانون العام أى التى يسود فيها الحكم المدنى. أما المناطق العسكرية فهى تخضع لجبروت الجيش وضباطه السياسيين، فهناك يجمع القائد الفرنسى كل السلطات فى يده ولا مرد لحكمه: إذ تكفى إرادته لنزع الأملاك وتنفيذ حكم الإعدام والسجن ونقل قرى بأكملها وإخلائها من السكان، ولا يمكن مراجعة حكمه أو الاعتراض عليه أمام سلطة مدنية، وأهالى البلاد من المسلمين حيارى بين براثن الاستعمار الفرنسى فى مراكش، هم فى حالة حرب منذ عام ١٩١٢ لا يرتفع عن كاهلهم سوط الأحكام العرفية ولا يشعرون بالراحة يوماً، تؤخذ أولادهم للحروب، ويرسل بشبابهم إلى المعتقلات والسجون.

لقد آن للعالم المتمدين أن يفهم حقيقة الحال فى أفريقيا الشمالية، وحسناً فعل المجاهدون المراكشيون من المبادرة إلى أمريكا وتعريف العالم بقضيتهم لأنها قضية عادلة: فهم لن يقبلوا أن يدخلوا اتحاداً فرنسياً يفرض عليهم فرضاً، وقد شرحنا أساليبه ومراميه وأهدافه ويؤكد سيطرة فرنسا وتدخلها فى شؤون بلادهم أجيالا من الزمن لا تزال فى عالم الغيب أو المستقبل.

إن كفاح أهل مراكش سيكون طويلا وصعباً لا هوادة فيه، لأن بلادهم موطن الثروة المعدنية، وإليها تتجه أنظار الاستعمار الفرنسى للحصول على المواد الخام من البترول والفحم والحديد، وهذا الاستعمار يفرط — كما قلنا — فى ولايات من أوروبا ولا يتنازل عن شمال أفريقيا، وهو يعلم تماماً أن أى تساهل أو اعتراف من جانبه باستقلال أو حكم ذاتى يمنح لأهل البلاد المراكشية معناه انهيار الامبراطورية الفرنسية بأكملها فى أفريقية الشمالية

فعلى الذين يتصدرون الحركة الاستقلالية فى مراكش أن

(١) عدد الرسالة ٧٢١ الاثنين ٢ يونية ١٩٤٧ نهاية القسم الثانى

يفهموا أن العراك سيكون شديداً وقاسياً ، وعليهم أن يكتسبوا المركز الخارجية ، وهى معركة الدعاية لقضيتهم فى أميركا وفى بقية أنحاء العالم ، عليهم أن يظهروا مساوئ الاستعمار وأضاليله ، وأن يجملوا الدعاية قائمة فى كل مكان ، وأن تمتاز بالثبات والرسوخ والهدوء والمداومة .

فنى مصر لا يكفى شعور الناس بالعطف على قضيتهم ، بل يجب إبرازها كل يوم فى ثوب جديد على صفحات الجرائد والمجلات ، بل نريد أن نسمع رأيهم وصوتهم ، ونرى مناظر بلادهم ومساجدها وأسواقها ، ونقرأ لأدبائهم وزعمائهم كل يوم ، ونود أن نشاركهم أفراحهم وأيامهم ، ونسمع أغانيهم ، ونرتل شعرهم ، ونظهر على مطبوعاتنا صور معاهدهم ورجالهم ومظاهر الحياة عندهم

إننا فى حاجة إلى أن نتعرف على أهل المغرب ، لأننا فى مصر نحن أهلها أقرب أهل المشرق إليهم .

لقد تلاقت النفوس قبل اليوم ، وارتبطنا بهم بروابط لا تنفصم عراها ، لأن فى مصر أسراً بأكملها تنحدر من تلك الأصول العربية التى جاءت من أرض المغرب

إننا لا تطمئن نفوسنا قبل أن ينال المغرب استقلاله ويحصل على حريته

أحمد رمزى

لسان الدين بن الخطيب

الصفحة الأخيرة من حياته

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

مد الليل أروقته السوداء فى غرناطة الأندلسية العظيمة ، واتشحت سماؤها المرصعة بالنجوم الزاهرة تلك الليلة بالغمام ، وتضاحك البرق من عربدة الرعد الدوى ، وتهادى الثلج نازلا بأناة وكرم يكسو بالبياض كل ملون ... وبتراكم طبقات بعضها فوق بعض ، وخلت الدروب من كل صوت ونأمة ...

وسرت عدوى السكون العميق إلى قصر ابن الخطيب الباذخ فما كان يسمع فيه شىء مما اعتاد أن يزخر به القصر العتيد من صوت القيان أو نداء المزاهر ، وما كان يرى فى أكنافه الرحيبة من وراء الكوى ، إلا ضوء واحد يمرق من نافذة فى غرفة رب القصر ، وإن كان قد انتصف الليل من وقت طويل .

وهدر الرعد من جديد ، ففتحت على ابن الخطيب بابه فتاة فى مقتبل العمر وانزاحت من الباب رفيقة إلى حيث يجلس الكهل ، وتقدمت إليه تحييه وتقول له فى دَلّ :

— أوَ لا تزال يا عماه مسهد الجفن تكتب والناس رقود ؟

فيرفع ابن الخطيب رأسه ويمد بصره إلى ابنة أخيه ، وقد أضنى عينيه ضوء الشموع وصفحة الكتاب ويقول لها :

— إن الذى ميزنى يا بنتاه عن الناس الذين تسمين ، إنما هو هذا السهاد وهذا الاعتكاف ، وما بلغ امرؤ يا بنتاه فى غطيطه ما يبلغ الساهر فى سبيل العلم ، ولو درى أولئك السادرون فى غواياتهم أية لذة أطعم ، وأية سعادة أذوق ، لاستبدلوا بالفراش المحابر ، ولأوغلوا فيما أنا فى سبيله ... ألا يستوى جاهل وعالم ، وساع إلى الراحة ومتشبث بأذيال العلم ... وهذه غرناطة تعلم أن شيخها يسهر والناس من حوله نيام ، فيصيب من سهره ما يعجز عن الناعمين والغافلين ...

ثم يعود الشيخ إلى نفسه فيستدرك ويقول :

— وأنت يا ابنتى ما بالك بارحت الخدر وأنت إلى الرقاد أحوج من شيخ غرناطة ؟ ... أهو حلم لذيذ أرسلك إلى عمك تقاصينه خبره ؟ فتجيبه : لقد أيقظتنى جلجلة الرعد ، فما استطعت من بعد اليقظة إغفاءة !

وتجلس الفتاة ، فيسألها عمها أن تكتب له الصحائف الباقية من كتابه « الأصول لحفظ الصحة من الفضول » . فتكتبها وهو يمليها عليها ... وتنتهى فتعلق الفتاة عليه بأنه عمل متعب قد يؤذى صحته الغالية . فيقول لها : « يا بنتاه ، العجب حتى مع تأليفى لهذا الكتاب الذى لم يؤلف مثله فى الطب ، فإنى لا أقدر على مداواة داء الأرق الذى بى » . فتقول مجيبة : « ولكنه يا عماه أرق مفيد على كل حال ، وهل تنكر فضل الأرق الذى خرجك فى الفلسفة والطب والتفسير والحديث والفقه والتاريخ وعلوم العربية من شعر بارع ونثر بديع ؟

فيبتسم الشيخ ابتسامة استكبار وتيه ... ولم تكن الفتاة مجاملة ولا مراوغة فى هذا الذى قالت ، فقد عرفته الليالى طالب علم ورجل جد ، وعرفه أساتيذ غرناطة ذكى الفؤاد ، واعى البصيرة ، سديد التفكير .

ويغرق لسان الدين فى فكرة طارئة ، وتسهم مقلتاه الزرقاوان فى غير وعى ... فتقول له ابنة أخيه : « ولقد فرغت يا عم من مطالعة ما زودتنى به من كتاباتك ، فراقنى منك شعر الغزل الجميل فى هذه الوشحات التى رصعتها بما يعيا به الصاغة الماهرون ، وأعجبنى كلام الأنقياء ، ولكننى وجدت فى رسائلك التى تتندر بها على الحال الاجتماعية سجعاً غريباً ، وإطالة لا عهد لك بمثلها ، فقد أطلت فيما كتبت وأطنبت فى التصوير إطناباً خيل إلىّ معه أنك قد ملأت من الفكرة الصغيرة صفحات ، فهل ستنسيك السياسة ذياك الأسلوب والنغمة التى فتنت بها غرناطة وأرقصت عذاراها زمناً ؟

وهنا يتبسم لسان الدين مرة أخرى ، ويهيب بفتاته أن تعود إلى مخدعها ، فقد انقطع الرعد ، ولم يبق من الليل إلا رمق ، وإنه ليرى أن السهاد قد يضر جمالها الضحيان ... وإذ تذهب يقيم لسان الدين يفكر ، ويعمل الرأى فى هذه الأحداث التى توالت دراكا ، ويبحث هذه القلاقل السياسية التى أوشكت أن تودى بأدبه الغض وخياله الرائع ... لقد صدقت بنت أخيه ، فإن السياسة التى فتنته قد انبرت تخرس تلك النغمة السائغة النسابة التى أرقصت عذارى غرناطة زمناً ، وهذه فتنة لا يدرى هو أيضاً كيف استحوذت عليه ، فتبدل بالعلم والأدب السياسة ومشتقاتها ، وأقام برهة يتفكر فى عواقب الأمور وما قد تجره عليه من وبال ، ووقر فى نفسه أن ينتقل إلى الهامش إن هو استطاع إلى ذلك سبيلا

ثم يعود فيمد بصره فى الماضى ، حيث كان السلطان أبو الحجاج يوسف يعطف عليه ، ويقرب مجلسه ، ويستأنس برأيه ، وقد اختصه بكتابته ، وأجرى عليه صنوف الرفد والعطاء ، فأنتج ما شاء له الإنتاج ، وأبدع ما وسعه الإبداع .

ثم يموت أبو الحجاج يوسف ، فيخلفه ابنه محمد بن أبى الحجاج وهو الفتى الذى خدمه ابن الخطيب أصدق خدمة ووفاه أقصى حقوق الولاء ، لجزاء معروفاً بمعروف وخيراً بخير ، وأبقاه فى مكانه وضاعف له الرعاية ، ولكن الفتنة الراقدة تململت ، وحبب الناس لأخى الملك الجديد أن يناوئ أخاه ويزعج نفسه ، فهو لا يدرى كيف يأخذ ولا ما ذا يصنع . وقد قال له هذا الأمير الحق أن يتبين له وجهاً من الرأى ودرباً من الرشاد ينفذ منهما إلى صرع الباطل والحسد الأثيم ، ولابد لابن الخطيب من نصيحة يسديها لمولاه ضحى الغد ، وهو الذى عرف عنده أصالة الرأى وسداد الفكر ، فما ذا تجدى عليه هواجسه من السياسة ومشتقاتها ومغبتها ، وهى مفروضة عليه يحتمها الولاء والوفاء لمن والاه ووفاه حقوقه .

هنا ينبلج الصبح ويقطع على لسان الدين التأمل رسول الملك فقد جاءه يخبره بأن الملك يريد البراح بعد أن أخفقت كل محاولة فى تحسين الحال ، فيخف إليه ابن الخطيب تاركا المهاة فى خدرها والكتب فى أدراجها وبيارحان المملكة ... وقد تقطع قلب لسان الدين لكلمة وداع لابنة أخيه الساعفة وكلة وصية بكتبه فما أفلح

ولم يكن الهروب لينجى ابن الخطيب ، فقد وقع فى قبضة السلطان الجديد ، وأراد التنكيل به لولا أن سلطان المغرب الذى شغف بأدبه وعلمه يحميه من البطش ، ويمهد له من مدينة فاس أرضاً صالحة خصيبة تواتى قريحته ، فيرسل زفرته الخالدة :

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً فى الكرى أو خلسة المختلس

وتلقفها ابنة أخيه ، وتقرؤها على أترابها ، وتتيه بها إعجاباً وفرحاً .. فلقد أرقص لسان الدين عذارى غرناطة من جديد .

هنا يتأزم الوضع فى غرناطة تأزماً جديداً ضد لسان الدين ، ويعمل العلماء والفقهاء من أعدائه ضده ويرسلون فيه هجر القول ويرمونه بكل نقيصة ، ويروجون فيه أنه كافر ، وهم إذ يفعلون ذلك ينتقمون لمنازلهم التى احتلها هو فى قلب السلطان الماضى ، وينافقون للسلطان الحاضر ، وكلا الأمرين يؤتى بالثمرة المحرّمة ، التى يريدونها .

وأمر ما لقى لسان الدين من هذه البلوى أن يقود هذه الفئة المادية والفتنة العمياء تلميذه ابن زُمرك وهو الذى نشأ وترعرع على يديه .. فقد وكل هذا المخلوق المنحوس قلمه فى شرح وتبسيط كفر لسان الدين الذى علم الله أنه منه براء .

١٠ – تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

ولكن يجب أن لا تظنوا أن هذه الرموز سهلة الاستعمال أو سهلة الترجمة فنحن أينما تلفتنا عثرنا على ما لم نكن نتوقع . فقد لا تصدقوا مثلا أنه لا يوجد فى الغالب حد فاصل بين الجنسين فى هذا التمثيل الرمزى ، فكثير من الرموز تقوم مقام الأعضاء الجنسية على العموم ، سواء أكانت للذكر أم للأنثى مثل طفل « صغير » أو ابن أو ابنة « صغيرة » كما أننا قد نجد فى حالات أخرى أن أحد الرموز التى تشير فى الغالب إلى عضو جنسى مذكر قد استخدم فى هذه الحالة للدلالة على عضو مؤنث أو بالعكس . وهذا القول قد يظل غير مفهوم حتى نستطيع أن نحصل على بعض المعلومات عن نضوج التفكير الإنسانى فيما يختص بالعلاقات الجنسية ، فهذا الغموض قد يكون فى كثير من الأحيان غموضاً ظاهرياً فقط وليس حقيقياً ، وعلاوة على ذلك فإننا نجد أن أشد هذه الرموز لفتاً للنظر مثل الأسلحة والجيوب والصناديق لا تستخدم أبداً للدلالة على الجنسين .

والآن دعونى أقدم لكم بياناً موجزاً مبتدئاً بالرموز نفسها بدلا من الأشياء التى ترمز إليها ، لأطلعكم على المصادر التى اشتقت منها هذه الرموز الجنسية فى الغالب ، وسأضيف إلى ذلك بعض الملاحظات خصوصاً عن تلك الرموز التى يصعب فيها تحديد وجه المقارنة بينها وبين الأشياء التى ترمز إليها « فالقبعة » مثلا أو أغطية الرأس على العموم تعتبر من الرموز الغامضة ، وهى فى العادة رمز مذكر وإن كانت تجىء من الحين للحين كرمز مؤنث . و « المعطف » بالمثل يدل على رجل ولو أنه قد يدل فى بعض الأحيان على الأعضاء الجنسية عموماً من غير تمييز ؛ ولكم

ويعود لسان الدين — وهو لا يدرى بما حدث ، ويجتمع الفقهاء والعلماء يقررون مصير لسان الدين . ولا بد من الفتيا وقد أقام لسان الدين ينتظرها فى السجن الذى زجوه به حتى إذا جاءته كانت تحتم قتله .

عرف لسان الدين أن الأمر قد تم ، وأن السهم قد نفذ ، وأن لا مرد لأمر الله ، تخنّ من بين مصائبه وآلامه وإحنه وسلاسله وأغلاله إلى نظرة فى كتبه ، وإلى كلمات يريد أن يضيفها على آخر كتاب لما يكمله . وتلهف إلى جامع غرناطة وجامعتها ، حيث كان يلقى دروسه قبل أن يقرر كفره .

وقطع هذه التأملات جلجلة السلاسل ، وجاءه قوم غلاظ يحملون المشاعل يتقدمهم رجل فيه بسطة فى الجسم لا قبل للسان الدين وهو فى الثالثة والستين من العمر بمثلها . تقدم هذا العملاق من السياسى الشيخ الفيلسوف الطبيب العالم الفقيه الشاعر الأديب يزيح لحيته التى وخطها الشيب ، فلم يبق من سوادها إلا ما بقى من سواد تلك الليلة .. يزيح لحيته ليمهد لقبضته الخشنة القوية من عنقه مكاناً يخنقه منه ، ووضع ركبته على صدر الرجل وأخذ عنقه وتحسس فيه البلعوم فقبض عليه قبضة شديدة منكرة تزايلت لها وتلاينت وتقلص وجه الرجل واختلفت سحنته ورفس من احتباس النفس رفساً شديداً فما رحمه . واحتقن الدم احتقاناً مروّعاً وجحظت عيناه جحوظاً غريباً كأنها تفتش عن الكفر الذى رمى به ... ثم تخافتت نفسه ... وفاضت روحه التى ملأت الأندلس أدباً وعلماً وفناً

وزفت بشرى خنقه إلى من حكم بقتله ، فأمر بإخراج جثته وإحراقها علناً ... وهكذا كان ... فما بقى للسان الدين غير اسم عظيم وتراث خالد .

وعرفت ابنة أخى لسان الدين هذا ... فاتشحت بالبياض حداداً (١) ... وخرجت هى وأترابها حيث أحرق ... وهناك قرأت عليهن قوله :

لم يكن وصلك إلا حلماً   فى الكرى أو خلسة المختلس

وأسكبت على الأرض التى قد يكون فيها شىء من رماده دمعات من مقلة زرقاء .

منيبة الكيلانى

(١) حداد الأندلسيين البياض ، وحداد المشارقة السواد .

أن تتساءلوا عن السر فى هذا . أما « ربطة الرقبة » فباعتبارها شيئاً يتدلى إلى أسفل ولا ترتديه النساء فهى بلا شك رمز مذكر بينما « الملابس الداخلية » أو «الـكتان» على العموم يمثل الأنثى . و « الملابس » و « البزة الرسمية » كما قلنا تمثل العرى أو جسم الإنسان . و « الأحذية » (والشباب) تمثل الأعضاء التناسلية الأنثى . و « الموائد » و « الخشب » قلنا عنها إنها رموز محيرة ولـكنها مع ذلك رموز مؤنثة ؛ ومن المحقق أن « عملية تسلق » السلالم أو الأماكن الوعرة عبارة عن رمز للعملية الجنسية . وقد نلاحظ إذا دققنا النظر أن اطراد النغم أثناء التسلق هو النقطة المشتركة بين العمليتين ، وربما أيضاً ازدياد اللهفة الذى يصحبهما، واحتباس النفس كلما أوغل المتسلق فى الصعود .

رأينا أن « الأصقاع » تمثل الأعضاء التناسلية للأنثى ، والجبال والصخور عبارة عن رموز للقضيب . و « الحديقة » وهى رمز يتكرر ظهوره باستمرار تشير إلى الجهاز التناسلى للأنثى بينما « الفاكهة » تقوم مقام النهود لا الطفل . « والحيوانات المتوحشة » تدل على الأشخاص المنفعلى الحواس ومن ثم على الدوافع الشديدة والعواطف الآثمة . و « النـور » و« الأزهار» تمثل الأعضـاء التناسلية للأنثى ، وعلى الأخص وهى عذراء . وبهذه المناسبة أذكركم بأن النور فى الحقيقة عبارة عن أعضاء التناسل فى النبات .

ونحن نعلم من قبل كيف تستعمل الحجرات كرموز ، وقد نستطيع أن نتوسع قليلا فى هذا التمثيل فنقول إن : « النوافذ » و « الأبواب » (وهى المداخل إلى الحجرات والمخارج منها) قد تعنى فتحات الجسم ، ومما يتفق مع هذا التمثيل الرمزى أن الحجرة تكون « مفتوحة » و « مغلقة » . والمفتاح » الذى يفتحها هو من غير شك رمز للقضيب .

هذه مادة لا بأس بها تصلح لدراسة الرمزية فى الأحلام ، وهى ليست مادة كاملة ، فقد نستطيع أن نتوسع ونتعمق فيها معاً . ولـكنى مع ذلك أظن أنها قد تبدو لـكم أنها أكثر من اللازم وربما لا تجوز لديكم القبول فيتساءل الواحد منكم قائلا : « أترانى حقاً أعيش وسط رموز جنسية ! ؟ أكل هذه الأشياء التى تحيط بى ، والملابس التى أرتديها ، والأدوات التى أستعملها عبارة عن رموز جنسية دائماً ولا شىء غير ذلك ؟ » . وهناك فى الواقع أسباب وجيهة تدعو إلى هذه الدهشة والتساؤل ، وقد يكون أول هذه الأسباب هو : كيف ندعى أننا استطعنا الوصول إلى معنى هذه الرموز التى تظهر فى الأحلام فى الوقت الذى نقول فيه إن الحالم نفسه لا يستطيع أن يمدنا عنها بمعلومات تذكر ؟

وجوابى على ذلك أننا نستقى معلوماتنا من مصادر كثيرة مختلفة : نستقيها من الأساطير والخرافات ، والملح والنوادر ، وقصص الأولين ، أى نستقيها مما نعرف عن أقوال وأغانى الشعوب المختلفة والعادات والأخلاق التى كانوا عليها ، ومن طريقة استخدامهم للغة فى الشعر وفى الـكلام الدارج . ففى كل من هذه المجالات المختلفة نعثر على نفس الرموز ، وقد نستطيع فى كثير منها أن نقف على المعنى المراد فى غير حاجة إلى دراسة سابقة لها . فإذا نظرنا إلى هذه المصادر المختلفة كل على حدة فسنعثر على كثير من الرموز التى تطابق ما يظهر فى الأحلام مما يضطرنا إلى الاقتناع بصحة طريقتنا فى التفسير .

قلنا إن جسم الإنسان كما يقرر « شرنر » كثيراً ما يرمز إليه فى الأحلام بمنزل ، فإذا توسعنا فى هذا التمثيل الرمزى قليلا ، فإن النوافذ والأبواب والبوابات تقوم مقام فتحات الجسم ، والجدر كما قلنا إما أن تكون ناعمة ملساء ، أو تحتوى على بروز وشرفات تصلح للتعلق بها . وهذا التمثيل الرمزى نفسه نراه فى اللغة الدارجة ، فنحن مثلا نتكلم عن « سقف من الشعر » ، كما إننا نقول عن شخص ما إن « طابقه الأعلى » ليس على ما يرام[1] . وفى علم التشريح كذلك تسمى فتحات الجسم « بالبوابات »[2]

وقد ندهش لأول وهلة عندما نجد أن الآباء والأمهات يظهرون فى أحلامنا كملوك وملكات ، ولـكنا نجد شبيها لهذا فى (الحواديت) . ألا نشعر عند ما نسمع كثيراً من (الحواديت) التى تبدأ بالـكلمات : « يحكى ذات يوم أن ملكا وملكة » أنها

(١) الزميل القديم يلقب فى ألمانيا «بالبيت القديم» (altes Haus) والاصطلاح « ضربة واحدة على سقفه » (einem aufs geben) يقابل عندنا الاصطلاح « ضربه على أم رأسه » .

(٢) الوريد « البابى » يحمل الأغذية من الأمعاء إلى الجسم عن طريق الـكبد . و « البواب » (pyrotus هو المدخل إلى الأمعاء الدقاق كما أن فتحات الجسم تسمى باللغة الألمانية Leibespforter ومعناها الحرفى هو « بوابات الجسم » .

تمنى بكل بساطة « يحكى ذات يوم أن أبا وأماً . » ؟ كما أننا نجد الأطفال فى الحياة العائلية يلقبون بالأمراء على سبيل المزاح ، والأكبرفيهم يلقب بصاحب السمو . والملك نفسه يدعى أبا الشعبة ، وكذلك نجد الأطفال فى كثير من الممالك يتحدث الناس عنهم كحيوانات صغيرة ، فيقولون مثلا : « ضفدع صغير » أو « حشرة صغيرة » كما فى ألمانيا .

والآن دعونا نعد مرة ثانية إلى التمثيل الرمزى بالمنزل . إذا كنا فى أحلامنا نتخذ من البروز التى فى المنازل حوامل نتعلق بها ألا يذكرنا هذا بقول عامى معروف جدا فى اللغة الألمانية للدلالة على المرأة ذات الصدر الناضج وهو : « لأن لها شيئاً يستطيع المرء أن يتعلق به » (١) (Die hsf efwas zkm ânhalfen) بينما هناك قول عامى آخر للدلالة على نفس المعنى وهو : « أن هناك كثيراً من الخشب أمام منزلها » . (Die haf viel holz vovdem hanse) كأنما كان هذا القول على بالنا عند ما قلنا فى تفسيراتنا إن الخشب يرمز إلى المرأة أو الأم .

وهناك شىء آخر يجب أن يقال بخصوص الخشب ، فليس من السهل أن نرى على الفور كيف صار استخدامه للدلالة على المرأة أو الأم ، ولكن المقارنة بين عدة لغات قد تفيدنا فى هذه الحال . يقال إن الكلمة الألمانية holz (خشب) مشتقة من نفس المصدر الذى اشتقت منه الكلمة الإغريقية التى معناها المادة الخام . وهذا مثل لعملية ليست نادرة الحدوث ، وهو أن اسماً يدل على المادة على العموم قد صار استخدامه أخيراً للدلالة على مادة معينة فقط . والآن لعلكم تعرفون جزيرة « ماديرا » (Madeira) التى تقع فى المحيط الأطلنطى والتى أطلق عليها البرتغاليون هذا الاسم عند ما اكتشفوها لأنها كانت فى ذلك الوقت مغطاة بغابات كثيفة ، إذ أن كلمة Madeira فى اللغة البرتغالية معناها الخشب . ولكنى أحسبكم لن تغفلوا عن أن تلاحظوا أن كلمة Madeira ما هى إلا صورة منقحة من الكلمة اللاتينية Madeira التى تدل أيضاً على المادة عموماً . ولكن Madeira مشتقة من Mafer ومعناها الأم . والمادة التى يصنع منها أى شىء يمكن أن ينظر إليها على أنها قد تسببت فى ولادة هذا الشىء . وعلى هذا فنحن فى استخدامنا الخشب كرمز للدلالة على المرأة أو الأم إنما نحيى هذه الفكرة القديمة .

والولادة يعبر عنها غالباً بأشارة إلى الماء ، فأما أننا نغوص فيه أو نخرج منه ، أى أننا نلد أو نولد . وهذا الرمز يجب أن لا ننسى أنه يشير إشارة مزدوجة إلى الحقائق الثابتة فى نظرية التطور . فالثدييات البرية ، التى نشأ عنها الجنس البشرى ، لم تهبط من كائنات تسكن الماء فحسب ، بل إن كل ثديى ، أو كل كائن حى ، قد أمضى الفترة الأولى من حياته فى الماء — أى كجنين فى السائل الأمنيونى الذى يملأ رحم الأم وبذا يكون عندالولادة قدخرج من الماء . وأنا لا أقور أن الحالم على علم بشىء من ذلك ، بل إننى على العكس أصرح لكم أنه لا حاجة به إلى هذا العلم ، فهو فى الغالب يعلم شيئاً آخر مما كان يحكى له وهوطفل ، ولكنى أقرر كذلك أنه حتى هذا لا دخل له فى تكوين الرموز . فالطفل تقول له مربيته إن طائراً كبيراً (أبو حديج) هو الذى يقوم بإحضار الأطفال ، فإذا سأل : ومن أين يأتى بهم ؟ قيل له من البئر أو من (الفسقية) أى من الماء مرة أخرى . وقد حدث لأحد مرضاى الذين قيلت لهم هذه الحكاية وهم أطفال (وقد كان فى هذا الوقت « كونتاً » صغيراً) أن اختفى طيلة بعد الظهر وأخيراً وجد راقداً على حافة البحيرة التى فى القصر وقد انحنى وجهه الصغير على صفحة الماء الرائقة وأخذ يحدق فى لهفة علّه يستطيع أن يلمح الأطفال الذين فى قاع الماء .

وفى الأساطير التى تروى عن ولادة الأبطال ، وقد قام « أو . رانك » (O. Knka) بدراسة وافية لها ، نجد أن التعرض للماء والنجاة منه يلعبان دوراً كبيراً . وقد أدرك « رانك » أن هذا يرمز إلى الولادة بطريقة شبيهة بالطريقة المستخدمة فى الأحلام . فالشخص الذى يرى فى الحلم أنه ينقذ أحداً من الماء ، يجعل هذا الأحد أماً له ، أو أماً على أية حال . وفى الأساطير نجد أن من تنقذ طفلا من الماء تعتبر نفسها أمه الحقيقية . وهناك نادرة تروى عن طفل ذكى من بنى إسرائيل ، وهى أنه عند ما سئل من تكون أم موسى ، أجاب على الفور : « الأميرة » . فقيل له : « كلا إنها التقطته من الماء فقط » . فأجاب : « هذا ما تقوله هى » . وقد دل بذلك على أنه قد وقع على التفسير الصحيح للأسطورة .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

(١) ونحن فى الواقع نقول : « فلان متعلق بفلانة » فكأنما الحلم يجسم هذه الفكرة .

من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

إلى عُنيبـــة ! !

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

ما كاد القطار يتحرك من أسوان متجها إلى الشلال . حتى أحسست وزملائى براحة لا تدانيها راحة ، وهدوء لا يعادله هدوء فقد مكثنا بأسوان خمسة أيام بلياليها على الرغم منا ، إذا أننالم نجد أمكنة فى الباخرة التى ستقلنا إلى ذلك المكان النائى البعيد فى بلادنا المصرية .

وعجيب أن نشعر بالراحة والطمأنينة ، ونحن فى طريقنا إلى بلدة لا نعرف عنها شيئا ، ولا ندرى من أمرها إلا ما يرغب عنها مما استمعنا إليه من أفواه المتحدثين — ولكن هذا دائما شعور كل مسافر ، فإنه يود أن يصل إلى غايته بأى ثمن .

ولا يمكننى بوجه من الوجوه أن أعبر عن مقدار الرهبة التى سيطرت علينا ، والخوف الذى ملأ قلوبنا عندما وصل القطار إلى الشلال . وعندما شارفنا النيل ، باتساعه وروعته ... ووقف القطار وزكمت أنوفنا رائحة الشواء العجيب .. شواء السمك ، والطعمية وألوان مختلطة من الأطعمة الملونة بالتراب ، والرمال التى تهب مع الريح من فوق السفح والجبل من هنا وهناك ..

وركبنا الباخرة البطيئة (توشكى) وهى إحدى البواخر المصرية التى استولت عليها الحكومة السودانية ظلما سنة ١٩٢٥ ، وأخذنا أماكننا فى ثلاث مقصورات متجاورة ، وسارت الباخرة فى الثانية مساء رويداً رويداً ، تشق صفحة الماء فى بطء ، وكأنما هى شيخ محطم أثقلته الخطوب ، وآدته فوادح الزمن ، فهى يعدو ، ويجمع قواه المتهدمة ، ويلهث ويحشرج ، ومع هذا تخونه دائما قواه ، ولا يحصل من هذا كله إلا على ما يكفيه ليسير بطيئا ، متئد الخطا ، كأنما يجر وراءه جبال الدنيا بأرسان من حديد .. !

يا لله : إننا لا نرى من هنا أو هناك ، سوى جبال شامخة ، بينها تلول من الرمال .. ما أروع هذا المنظر العجيب .. جبال سمراء ، وأخرى حمراء قانية ، وبينها رمال منسابة متحدرة ، تخالها أنهارا من الذهب الوهاج . !

وهنا وهناك على الشاطئ من الجانبين نُجوع تختلف باختلاف طبيعة الأرض ، فهذا نجع يرتفع عن شاطئ النيل بمتر واحد أو مترين على الأكثر ، ويحتضنه الجبل فى حنان ودعة ، كما يحتضن الأب الرحيم ولده فى حرارة الشمس اللاذعة خشية أن تفتك به ، وتضربه ضربة لا يفيق منها مدى الحياة .

وهذا نجع آخر يسير مع الشاطئ فى تتابع وتناثر .. بيوت متواضعة متفرقة إن صح أن تسمى هذه الأكواخ المتواضعة بيوتا وتسير مع الشاطئ ألفى متر أو تزيد ، بيد أنها ليست عريضة عامرة بالسكان ، آهلة بالناس ، ولكنها ضيقة لا تكاد ترى فيها أثراً من آثار الحياة ، اللهم إلا أشباحا هزيلة ضعيفة ، تبدو عليها آثار الفاقة ، وسيما الضنى واللوعة ، والأسى والخمود .

وهذا نجع ثالث تخاله ميتا لا يتنفس فيه حى ، ولا يعيش فيه مخلوق ، ولكن الباخرة إذا وقفت ، وارتفع صفيرها فى الجو ، انبعث الرجال والنساء من كل حدب وصوب ، يتلقون (القافلة) المائية . التى تسير فى عرض النيل على بركة الله ، تحمل لهم الزاد والمؤنة ، والكسى والمتاع .. إنهم ينتظرونها مرة فى كل أسبوع قادمة من الشلال ، ومرة أخرى قادمة من حلفا ، وفيها البريد .. حتى إذا ارتفع فى الهواء لها دخان ، وعلا لها صوت ، انطلقت الحناجر مدوية من هنا وهناك ، فى فرح ومرح وبشر وسرور ، فهذا موعد الرسائل من الأحباب والأزواج ... والآباء والأعمام .

أجل فأهل هذه النجوع يحيون وأكثرهم نساء مترملات أو فى حكم المترملات ، فهن لم يفقدن العائل بالموت ، ولكنهن فقدنه بالبعد والفراق ، وطول المسافة التى يضل فيها الرسول ، والنوى الذى يكاد تتقطع معه سبل الوصل واللقاء ..

وهذا نجع رابع — ومثله كثير — مرتفع جدا ، فهو على ارتفاع خمسين مترا تقريبا من سطح النيل ، على ربوة مرتفعة صخرية ، عليها المساكن شامخة على الرغم من حقارتها ، عزيزة مع ما هى فيه من ضآلة الشأن ، وقلة القيمة . إن الباخرة لتقف أمام هذه النجوع كأنما هى سائلة حقيرة تستجدى الأكف ،

وتطلب من الناس المعونة والاحسان . !

يا لله ! ما أعجب هؤلاء الذين يقبلون من فوق الجبل من الرجال والنساء ، والبنات والأولاد الصغار فى سرعة عجيبة ، يقفزون فوق الصخور ، على مسافات شاسعة ، بسرعة توقعك فى الحيرة والخوف ، تظن بأن أحدهم سينحدر إلى الهوة العميقة لاقيامة له منها ، ولكن شيئا من هذا لم يحصل . وكأنما بينهم وبين هذه الصخور المحدبة الدقيقة عهد وميثاق ، لا تؤذى أحدا منهم أو تناله بمكروه . وما أعجب مظهرهم وهم يغدون زرافات ووحدانا فى ثياب بيض ، وعمائم مثل الثياب . تتماثل كلها فى طرازها وهيئتها وحياكتها . وما الثوب إلا قميص له جيب واسع ، وأكمام فضفاضة ، والعمامة مكورة فى ضخامة تأبى القلة ، وتأنف من البخل والتقتير ، ومن تحت العمامة ترى هذه الوجوه السود ، وتلمع تلك الأسنان الناصعة البياض ، وتلك العيون الحوراء . وتلوح من جيب القميص ، تلك الصدور السود .. ومن أسفل القميص تلك الأرجل المفلطحة .. إنه لمنظر يستهوى الأفئدة ويسبى العقول ، وخاصة تلك السذاجة التى تدفعك دفعا لاحترام هؤلاء ، أوبالحرى الرثاء لحالهم ، والإشفاق بهم ، والعطف عليهم أجل . فانك إذا تفقدت أحوالهم ، واطلعت على مواردهم ، أخذ العجب منك كل مأخذ ، وملك الدهش عليك عواطفك . ووجدت نفسك متسائلا فى إلحاح : من أين يعيش هؤلاء ؟

ولن تجد جوابا شافيا على تساؤلك ، سوى الإيمان المطلق والتسليم المطلق . الإيمان بالله الخالق الأكبر ، والتسليم لله الذى لاينسى ، ومحال أن ينسى عبدا خلقه وسواه ، وشق سمعه وبصره ، فخالق الكون كفل الرزق والحياة لكل فرد من الناس ، مادام له عمر ممدود ، وأجل محدود ، كائنا من كان ، صدق الله العظيم . « وفى السماء رزقكم وماتوعدون »

وكأنى بهذا الشيخ المقبل من نجع (السبوع) لغاية فى نفسه ، فاهى يا ترى هذه الغاية ؟ إن منظره ليثير فى النفس عوامل الأسى واللوعة ، والشفقة والحزن .. إنه قد جاوز الثمانين دون ريب .. أحناه الدهر فكأنما هو قوس متحرك . يتوكأ فى بطء شديد على عصاه . وكأنما هذه العصا رجل ثالثة يدب بها على الأرض ، لارتيابه فى رجليه واعتقاده أنهما لم يحملاه إلى ما يريد ، ومع ذلك فهو يهرول بشدة ، ولكنه لايبلغ السرعة التى يريدها ويتمناها ، فإن أنفاسه منقطعة ، وعيشه شديد الوطأة ، أليم الخطر ..

وبلاه .. لقد وصلت الباخرة ورست على الشاطىء أمام نجع (السبوع) ووصل الشيخ المتهدم إلى المرفأ ، وجلس متكئا على عصاه أيضا ، واعتمد برأسه عليها فى اطمئنان عجيب .. ولكنه لم يسافر ؟ ولم ينزل إليه من الباخرة أحد ؟ حتى أن من نزل لم يعرج عليه .. ترى أكان ينتظر بريدا ؟ أم تموينا ؟ أم عزيزا لديه من ولد أو حفيد ؟ لم يبد عليه شىء من ذلك ، بيد أن ملامحه كانت تنطق بشىء خفى غريب ، ذلك أنه يأنس بالباخرة ، وأصوات من فيها ، ويطرب بذلك الهرج الذى يحدثه الركاب حينما تقف بين حين وحين . إنها تذكره بعهد الشباب والصبا ، يوم أن كان يقفز هنا وهناك دون حاجة إلى سند أو معين ولا افتقار إلى تلك العصا اللعينة التى تضيق عليه الخناق فهى تلازمه فى كل مكان وزمان ..

ومن يدرى فربما تذكره هذه الباخرة بابن له افتقده فى ميعة صباه فهو يحن إليها كلما ترسو ، فيقبل وكأنما يلقى فيها ابنه الراحل ، وفلذة كبده العزيز .. وارتفع صفير الباخرة وأخذت تبتعد عن المرفأ ، فجمع الشيخ أطراف نفسه ، وقام متحاملا عليها ، وعاد كما جاء ، ولا زال ببصره عالقا بالباخرة ومن فيها وكأنما يودعهم الوداع الأخير

عبد الحفيظ أبو السعود —

العبرة والتاريخ

نهاية دجـــال

للأستاذ حسني كنعان

ظهر منذ سبعة عشر عاماً في غوطة دمشق ، إحدى جنان الدنيا ، رجل أمي يدعى « طه أبا الورد » تخرج في « الطريق » على بعض مشايخ الصوفية ، ثم جمع حوله فئة من القرويين الجهال وقطاع الطرق . فتزيا بزى العلماء وأخذ يخرق عليهم وينشر عن نفسه الدعاوى المضللة في قرى الغوطة على يد طائفة من الأتباع الذين أذاعوا عنه الأخبار الملفقة كادعاء أنه هو النبي المنتظر في آخر الزمان الذى يطهر البشرية من أدرانها وأوشابها ، وأنه من الملهمين الذين يوحى إليهم ، وأنه يبرىء المرضى ويحيي الموتى ويطعم الجائعين ، فأصبح في قريته « عربين » مليكا غير متوج ، وشاد مسجداً في ضاحية القرية وجعل فيه « زاوية » له بين الخمائل الوارفة ومنحدرات السواقي والأنهار وبين الورود والرياحين ، ونصب فيها كعبة مزوقة يتوسطها صندوق من زجاج فيه حجر أسود . وجعل الطواف حولها يغنى عن شد الرحال إلى الكعبة في مكة ، فجازت هذه الشعوذات على بعض القرويين السذج ولقيت عندهم سوقاً رائجة ، ونال صاحبنا بمر الأيام شهرة فائقة وصيتاً بعيداً تجاوز الغوطتين الشرقية والغربية إلى جبال القلمون ، وأقبل عليه الناس زرافات ووحداناً وقدموا إليه الهدايا والأموال فغنى بعد فقر ، وأثرى بعد إملاق .

وعلم بأمره علماء دمشق فثارت ثائرتهم ، وذهبوا إليه في قريته يستطلعون طلعه ليقفوا على خبره ، ولكنه كان يتظاهر أمامهم بالورع والتقوى ، ويدعى أنه استطاع أن يجعل من اللصوص وقطاع الطرق قوماً متعبدين متنسكين بعد أن استتابهم وأصلحهم ولم يستطع أحد من الوافدين على هذا « المخلوق » أن يقف على جلية أمره .

وبدالى أن أزوره في يوم جمعة . وكان رسولي إليه من أشد أتباعه تعصباً له ، وكان لا يألو جهداً في أن يحدثني — ونحن في طريقنا إليه — عن معجزاته وخوارقه ، ويحذرني من الظهور أمامه بمظهر غير لا ثق بمقامه الرفيع أو الشك في أعماق نفسي بصدق دعوته ونبوته ، لأن الرجل يعرف خفايا القلوب وأسرار النفوس ، فإذا لقى أمامه إنساناً جاحداً أو كافراً مسخه قرداً أو ابن آوى ، ثم قال لي : أنت رجل « ابن حلال » حسب ما يبدو لي فافهم ما قلت لك . فأجبته ضاحكا : لا تخف ، فأنا لم أقصد صاحبك إلا من أجل أن أهتدى بهديه وأطهر نفسي مما علق بها من الرجس ، فبرقت أسارير صاحبي واطمأن إلى وطمع في رضا سيده عنه وتقريبه إليه . ولما بلغنا المكان الأقدس سمعنا أصوات المؤذنين تتجاوب بها المآذن ، وشهدنا زحاماً عظيما على بابه ، فشق لي صاحبي طريقاً للوصول إلى المصلى فدخلته ورأيت الناس مابين قائم وقاعد ومتوضىء ، ودنا وقت الخطبة ، فخرج على القوم شيخهم غائر العينين ، وتراكض القرويون إليه يقبلون يده فخسبته صاحبهم وهممت أن أفعل فعلهم لولا أنني سمعته يقول : استعدوا فنبيكم قادم ، فادركت أنه أحد صحابته المقربين ، وما لبث الشيخ أن أقبل على مهل ، وروائح الند والكافور والطيب تضوع من أردانه ، فخر القوم سجداً وبكيا ، فرأيت عملا بوصية دليلي أن أفعل فعلهم ، ولم أدر ما ذا كانوا يقولون في سجودهم غير أنني سمعت رجلا إلى جانبي يقول : « يا أبا الورد ، يا منير الظلمة في اللحود ، ويا منقذ الصحب في اليوم الموعود ، كن لنا شفيعاً للغفور الودود » ! وقد طال سجودهم ولم يرفعوا منه رؤوسهم إلا بعد دقائق عشر ، ولما نهضوا تقدم فوج النسوة يلثم الأيدى الشريفة ، وتبعهن الرجال وأنا في مؤخرتهم ، ومذ وقع بصره على وصافحت عيناه عيني حد جنى بطرف موقر وأدرك بثاقب بصره أنني ما أتيت متجشما المصاعب إلا من أجل الوقوف على جلية أمره ، فتظاهر أمامي بالورع والسذاجة وأبدى لي الاحترام ورحب بي ، وصعد المنبر وأخذ يتدفق في خطابه تدفق السيل وأورد من الأحاديث العجيبة ما لم يسمع به إنسان ، ولوأن « سيبويه » سمعه لفضل الموت انتحاراً ..

وبكى المستمعون ما وسعهم البكاء ، وبدا لهم بثوبه الأبيض الناصع الحريرى ، وعمامته الضخمة المكورة على رأسه والمنتهية بعذبة طويلة كأنه ملك من الملائكة .. واختتم خطبته ونزل إلى الصلاة وهم يتسابقون إلى التمسح به والسعيد منهم من حظى بلمس

طرف ردائه ، ووقف للصلاة وسبحته الطويلة تهتز على صدره ، ويبدو الكحل فى عينيه خطوطاً سوداء براقة ، وما كاد يقرأ الفاتحة حتى اهتز القوم طرباً لبراعته بالتلحين والتطريب حتى كدت أحسب أنه يغنى «العتابا» أو «الميجانا» ، وانبعثت من حناجرهم الفولاذية الصرخات المدوية ، وأخذوا يبكون فى الصلاة ويجهشون فى البكاء ويقفزون فى الهواء قفزات بهلوانية ويقلدون أصوات الحيوانات فكنت لا أسمع إلا الثغاء والمواء والعواء والجئير والزئير والهدير . ففت فى ساعدى وأسقط فى يدى وهممت أن أنملت من بين الصفوف هارباً ولكنى خشيت سوء العاقبة ، وقضيت الصلاة بعد ساعة شعرت فيها أن الأرض قد دارت بى مما عرانى من الإعياء والتعب ، فلقد كان يطيل ركوعه وسجوده ويتنطع ويتقعر فى القراءة ، وتلمست طريقاً للخلاص متسللا من بين الصفوف دون أن يشعر بى أحد ناجياً بنفسى ، وفور وصولى إلى دمشق أذعت فى الصحف نبأ ما سمعت وما رأيت محذراً أولى الأمر والرأى العام من خطر هذا الأفاك الأثيم ، فلم تلق صرخاتى آذاناً صاغية ولا قلوباً واعية لأن الحكومة الفرنسية كانت تشجعه وتشجع أمثاله وتلقى لهم الحبل على الغارب . وبقى هذا الطاغية يعبث بعقول السذج البسطاء من اتباعه فيسلبهم العقل والمال والعرض منذ بدء العهد به حتى يومنا هذا . وقد مد الله ليتيح له فرصة التوبة ولكنه لم يتب برغم بلوغه الستين من العمر ، فأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وألقى الرجل منذ أيام فى غياهب السجن بين جدران حاشرة لا يرى فيها نور الشمس ، وها هو ذا اليوم يدان بفضيحة جديدة تثبت سطوه على أعراض النساء اللواتى كن يستسلمن له ، فضيحة جرت فضائح ، كان لها ريح خبيث ، ودوى مزعج ، وصور لا يستطيع أن يرسم أفحش منها إبليس نفسه

ولقد ثار العلماء وأعلنوا البراءة منه ومن أمثاله ، ونرجو أن يكون مصيره عبرة لكل مخرق يريد أن يخدع الناس باسم الصوفية والدين ، فحسب هذه الشريعة البيضاء النقية ، ما أصابها من سواد ، وما مسها من عكر !

دمشق حسنى كنعان

كتاب مقاييس اللغة (*)

لابن فارس

للأستاذ حامد مصطفى

تكثر المخطوطات العربية في مكتبات أوربا كثرة تدعو إلى الإلتفات إلى هذه الثروة العظيمة من أدب العرب وتاريخ العرب وعلوم العرب . ومهما كانت الوسائل التي اجتمعت بها هذه الثروة في خزائن الكتب الغربية فإن هناك ما يبرر الإرتياح إلى انتقالها إلى تلك البلاد . ذلك أن النهضة العلمية التي قامت في أوربا على أثر اختفاء نور الحضارة العربية كانت مأخوذة بالحرص على أسباب النهضة ومقومات الثقافة فوجدت في هذه الكنوز العربية ما يغذى الحركة العلمية ويؤلف عنصراً مهماً من عناصر البحث فأقبلت عليها درساً واهتماماً وحاطتها بكل أسباب العناية والحفظ. هذا على حين كانت العقلية العلمية في الشرق على الضد من ذلك : فتن وقلاقل وغزوات وانشغال بهذه الحوادث عن العلم والأدب والفنون ، فهجر العلماء والأدباء مواطنهم وفقدوا خزائن كتبهم بسبب هذه الهجرة (1) واغتصبت منهم أحياناً فأحرقت أو رميت في الأنهار . وما أصاب خزائن الكتب العربية لم يكن إلا بقايا هذه الكتب التي بعثرت في الأرض فأخذت من أيدى الصبيان والجهلة أو استخلصت من لهيب النيران .

وربما كان أول البلاد التي فقدت ثروتها من الكتب العراق وسورية وأحسنها حظاً في هذا مصر ، والحوادث السياسية والاجتماعية هي التي تؤول أسباب فقر ذينك البلدين من الثروة العلمية وحسن حظ هذه منها . على أن الأيام قد عادت بنا إلى الأمل بإمكان العثور على بعض من الكتب القيمة التي لم يكتب لها حظ الطبع والانتشار . ففي بعض المكتبات الشخصية في العراق يمكننا أن نجد مخطوطات تعد في طليعة الكتب العربية أثراً وفائدة ، منها كتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب المحيط للصاحب بن عباد ، والمجمل لابن فارس وغيرها ومن بين هذه كتاب المقاييس في اللغة لابن فارس . ولا بد من الكلام على شيء من سيرة ابن فارس مع الكلام على مؤلفه الذي نحن في عرض ذكره . فهو أحمد بن فارس الرازى . ينسب إلى الري . عاش في أواسط القرن الرابع الهجرى ومات سنة ٣٩٥ عاصر الصاحب بن عباد وابن جنى وأخذ عنه بديع الزمان الهمذانى الأسلوب المعروف بأسلوب المقامات . وفي عصره ظهر مؤلفو المعاجم الأولى مثل الصاحب بن عباد صاحب المحيط والجوهرى صاحب الصحاح والأزهرى صاحب التهذيب . وكان أديباً حسن الأدب والشعر ومن شعره قوله :

وقالوا كيف أنت فقلت خير ... تقضى حاجة ويفوت حاج
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا ... عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمى هرتى وسرور قلبي ... دفاتر لي ومعشوقى السراج

وقوله :

إذا كان يؤذيك حر المصيـ ... ـف وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيـ ... ـع فأخذك للعلم قل لى متى

ومن لطيف نظمه قوله :

يا دار سعدى بذات الضال من إضم ... سقاك صوب حيا من واكف العين (1)
إني لأذكر أياماً بها ولنا ... في كل إصباح يوم قرة العين (2)
تدنى مشعشعة منا معتقة ... تسحها عذبة من نابع العين (3)
إذا تمززها شيخ به طرق ... سرت بقوتها في الساق والعين (4)
والأبريق ملآن من ماء السرور فلا ... تخشى تولـه ما فيه من العين (5)
وغاب عزالنا عنا فلا كدر ... في عيشنا من رقيب السوء والعين (6)
يقسم الود فيما بيننا قسماً ... ميزان صدق بلا بخس ولا عين (7)
وفائض المال يغنينا بحاضره ... فنكتفى من ثقيل الدين بالعين (8)

(*) (الرسالة) : تجد في هذا العدد إعلاناً عن صدور الجزء الأول من هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ محمد عبد السلام هارون المدرس بجامعة فاروق

(1) من ذلك أن أسامة بن منقذ (٥٨٤) فقد في طريقه من مصر إلى الشام أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة .

(1) السحاب ينشأ من جهة القبلة (2) عين الإنسان (3) ما ينبع من الماء (4) الركبة الطرق ضعف الركبتين (5) تعب يكون في المزادة والتوله التعرب (6) الرقيب (7) الميل في الميزان (8) المال الحاضر

والمجمل المجتبي تغني فوائده حفاظه عن كتاب الجم والعين

واست تجد شيئاً عن ابن فارس أكثر من مثل هذه الأخبار المتناثرة شأنه من هذا شأن كثير ممن يترجم من رجال اللغة خاصة ، ومن مؤلفاته عدا كتاب المقاييس كتاب المجمل وهو أشهر كتبه ، أخذه سماعاً عمن تقدمه من علماء اللغة الذين يثق بهم . وكتاب متخير الألفاظ ، وكتاب فقه اللغة ، وكتاب الصاحبي في اللغة صنفه للصاحب بن عباد وهو مطبوع بمصر(1) ، وكتاب نقد الشعر وغيرها من الكتب المفقودة أو الموجودة في بعض المكتبات المصرية والأوربية . وكتاب المقاييس من أهم مؤلفات ابن فارس في اللغة . وقد ذكره له السيوطي في كتابه المزهر وياقوت في معجم الأدباء . ولم يذكره له صاحب وفيات الأعيان من المتقدمين ولا الأستاذ جرجي زيدان من المتأخرين في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ، وإنما عرض له في الجزء السابع من مؤلفه هذا في مناسبة الكلام على بعض المكتبات العربية في العراق . وكتب الأستاذ عبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي أنه عثر على نسخة من كتاب المقاييس وذكر أوصاف هذا الكتاب ورسمه وحجمه ولكن هذا الوصف لا يصدق على النسخة التي نكتب هذه الكلمة عنها وربما كانت النسخ التي رآها ليست كتاب المقاييس أو أنها إيجاز له . فقد قال أنها تبلغ ٧٧٩ صفحة وهي بقطع دون المتوسط وخطها من النسخي الحسن الصغير الحروف وفي الصفحة الواحدة ٢٧ سطراً . على حين أن النسخة التي نتكلم عليها تقع في ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبير في كل صفحة ٢٧ سطراً يبلغ السطر بين ١٦ - ٢١ كلمة بخط نسخي جميل .

وفيما يلي فاتحة الكتاب وخاتمته لتمتاز بهما النسخة الحقيقية من هذا الكتاب الجليل :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله وبه نستعين . وصلى الله على محمد وآله أجمعين . أقول وبالله التوفيق . للغة العرب مقاييس صحيحة وأصول تتفرع منها فروع . وقد ألف الناس في جوامع اللفظ ما ألفوا ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقاييس ولا أصل من تلك الأصول والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل وله خطر عظيم . وقد صدرنا كل أصل بأصله الذي يتفرع منه مسائل حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه . وبناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية تحوي أكثر اللغة . فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى كتاب العين . أخبرنا به علي بن إبراهيم القطان بعد أن قرأ عليه قراءة . قال حدثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المدني عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن ميدان بن كبرة الأصبهاني ومعروف بن حسان عن الليث . ومنها كتابا ابن عبيد في غريب الحديث ومصنف الغريب حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد . ومنها كتاب المنطق . أخبرني به أبي ووالدي فارس بن زكريا عن أبي نصر ابن أخت الليث بن إدريس عن الليث عن ابن السكيت . ومنها كتاب أبي بكر بن دريد صاحب الجمهرة . أخبرنا به أبو بكر محمد بن أحمد الأصفهاني على بن أحمد الساوي عن أبي بكر . فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيها . ومنها استنبطنا كتابنا هذا مقاييس اللغة . وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع إليها حتى إذا وقفنا على شيء فيها نسبناه إلى قائله إن شاء الله فأول ذلك كتاب الهمزة ٢٢٠

وخاتمة الكتاب تنتهي هكذا :

« قال الشيخ الإمام الأجل السعيد أبو الحسين أحمد بن فارس وأجزل له الثواب . قد ذكرنا ما شرطنا في صدر الكتاب أن نذكره وهو صدر من اللغة صالح فأما الإحاطة بجميع كلام العرب مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى أو نبي من أنبيائه عليهم السلام بوحي الله تعالى وعز إليه ... والحمد لله أولا وآخراً وباطناً وظاهراً والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين والحمد لله رب العالمين . تم على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه الغني خليفة بن يوسف النجفي في يوم الجمعة ١٨ رجب المرجب من شهور سنة ١١١٧ (كذا) وألف ٢٢

والطريقة التي اتبعها ابن فارس في تأليف هذا الكتاب الطريقة الأبجدية . وذلك أن المؤلف أراد أن يتجنب العيوب التي

(1) وفي أوله ترجمة غنية لابن فارس بقلم ناشره الأستاذ محب الدين الخطيب

تعرض لها الخليل فى ترتيب كتاب العين ووقع معه فيها أكثر مؤلفى المعاجم اللغوية حتى ظهور الصحاح للجوهرى . مثل الهروى وأبى عمرو الشيبانى فى كتابى الجيم والجمهرة لابن دريد والأزهرى فى التهذيب وابن سيده فى كتابه المحكم .

والترتيب الذى اتبعه ابن فارس فى المقاييس هو الترتيب الأبجدى الذى يلتزم إحداث كتب بعدد الحروف الأبجدية ثم إنشاء أبواب تحتها بعدد هـذه الحروف ناقصاً ما سبق منها ترتيبـه : ترتب الـكلمات فيها على الأصل الثلاثى بحسب ترتيبها الهجائى ، ينقص من هذه الأبواب بطبيعة الحال مالا وجود له من الأصول فى اللغة ومما لا يراه المؤلف صحيحاً (وقد شرطنا فى أول كتابنا هذا أن لا نقيس إلا الـكلام الصحيح) . مثال ذلك كتاب الهمزة . فإنه يبدؤه بالهمزة ومضاعف ما بعدها وهو الباء مثل الأب وأتّ وأثّ وأجّ وأح حتى يستوفى جميع الحروف ، ثم يحدث باباً للثلاثى الذى أوله همزة مثـل أبتَ وأبث وأبدَ وأبر .. الخ وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والتاء وما يثلثهما مثل أتل وأتم . الخ وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والثاء والراء وما يثلثهما مثل أثر وأثل وأثمَ وأثن وأثوى . وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والجيم وما يثلثها مثل أجج وأجد وأجر وأجص وأجل ... الخ وهكذا يجرى المؤلف حتى يستوفى حرف الهمزة وما يكمل معـه الأصل الثلاثى متبوعاً بغيره . وبعد أن يفرغ من باب الهمزة ينشىء كتاب الباء ويستوفيه على النحو الذى استوفى فيـه كتاب الهمزة . وكذلك يفعـل حتى يأتى على عدد من الـكتب بعدد حروف الأبجدية متروكا منها ما لا أصل له فى اللغة . والطريقة التى يسلـكها فى شرح الألفاظ هى الطريقة القاموسية التى تعطى لـكل لفظ ما له من معنى مع شىء من الشواهد وتصنيف المعانى ما وجد إلى التصنيف سبيلاً . وبذلك فهو يجمع بين طريقة المعجم الخالصة وطريقة فقه اللغة . مثال ذلك قوله فى أول كتاب الباء بت . الباء والتاء له وجهان وأصلان أحدهما القطع والآخر ضرب من اللباس . فأما الأول فقالوا البت القطع المسـتأصل ، يقال بتّ الحبل وأبتّ . ويقال أعطيته هذه القطعة بتاً بتاً وألبتة اشتقاقه من القطع غير أنه مستعمل فى كل أمر يمضى ولا يرجع فيه : يقال انقطع فلان عن فلان فابتّ وانقبض . قال شمر

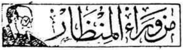
لحـل فى جشم وابتت متقبضاً بحبله من ذرى الغر القطاريف

قال الخليل أبتّ فلان طلاق فلانة أى طلاقاً باتاً .. الخ

وكذلك كلما جاء على أصل من الحروف تتبع له أصوله وإن لم يجد له أصلا أو لم يره نبه على ذلك بمثل قوله : بخ الباء والخاء قد روى فيه كلام ليس أصلا يقاس عليه وما أراه عربياً وهو قولهم عند مدح الشىء بخ وبخبخ فلان إذا قال ذلك مكرراً اه . وإذا شذ عن الأصل لفظ عرف بهذا الشذوذ بمثل قوله : وقد شذ عن هذا الأصل كلمتان : قولهم للرجل المظيم الخلق أبد . قال شمر :

ألد يمشى مشية الأبد

حامد مصطفى
عضو فى مجلس التمييز الشرعى



ولكننى كسبت القضية !

هى قضية أعرضها عليك يا قارئى العزيز بعد أن كسبتها على حد تعبير حضرات المحامين ...

وأحب أن تعلم قبل أن أحدثك عن القضية أننى رجل لاأطيق أن أرى مخلوقا فى موطن من مواطن الضعف أو المذلة ، ولقد يجبهنى شخص بمالا أحب فأفضل ذلك على أن أراه يستعطف ويبكى ؛ ولقد أحب من أحد تلاميذى أن يكلمنى فى شىء من الجرأة وأن يجهر لى بالقول ، ولاأحب منه أن يستخزى ويضعف ويستكين ...

ومن أراد أن يزحزحنى عن شىء عقدت العزم على الا أتزحزح عنه ، ومن أراد أن يستلب منى أى شىء عزيز على إن كان ثمة عندى مايستلب ، فليأت إلى ثم فليتصنع الضراعة وليظهر التفجع والتوجع فإنه إذ ذاك يرانى تراجعت تراجعا عجيبا ثم ليجهش إجهاشة واحدة فعندئذ يرانى قد سلمت تسليما ...

وليغفر لى القارىء إسرافى هذا فى الحديث عن نفسى فما كنت لأفعل لولا أنه يتصل بسبب قوى من قضيتى التى أريد أن أتحدث عنها ...

دخلت على أحد ذوى قرباى فى بيته وهو ممن يشغلون أحد المناصب الكبيرة ، فلمحت فى وجهه من أمارات الغضب والتكره ما لم أر مثله من قبل فى هذا الوجه السمح ، وما كاد يرانى حتى ابتدرنى بقوله : أدخل هذه الحجرة فستجد سيدة مع زوجتى فأخرجها وإياك أن تبطىء أو تتهاون

فدخلت الحجرة مندهشا ، فإذا بى تلقاء سيدة فى حدود الأربعين غارقة فى دموعها كما يقولون ، ويقطر منديلها الدمع وتمسح عيناها سحا وتجهش حتى لا تكاد تبين الكلام ، وإلى جوارها ابنة لها فى نحو الخامسة عشرة حسناء رائعة لولا ذبول وصفرة فى محياها ونحول فى بدنها ، وطفلان أحدهما فى العاشرة أو فوقها قليلا والثانى طريده فى العمر ، وكانت البنت تجهش لإجهاشات أمها والطفلان ينظران فى دهشة وألم ويمسح كبيرهما عينيه بمنديله .

وعلمت أن زوج السيدة مختلس ، وأن التحقيق أدانه ، وأن زوجته باعت حليها وأدت عنه ما اختلس ، وأنها علمت أنه سيطرد من عمله وأن قريبى هو الذى أعد مذكرة يقترح فيها هذا الطرد ؛ وأخرجت السيدة صورة طفلين آخرين من أولادها وقالت ما ذا نصنع جميعا وإلى أين نذهب ؛ ثم أجهشت إجهاشة طويلة استفرغت فيها كل ألمها ووضمت بنتها وجهها بين كفيها وشهقت شهقة طويلة

وما وقعت والله عيناى على صورة الطفلين الصغيرين، وما سمعت بكاء الأم وبنتها حتى انخلع قلبى وأحسست بالدموع تتساقط على وجنتى ساخنة وأنا لاأدرى ماذا أقول ، وما أحسبك أيها القارىء إلا تحبس دمعك فى جهد الآن أو لعلك تسخر منى وتضحك من ضعفى سامحك الله ...

واستبطأنى قريبى فنادانى ، فخرجت إليه وأنا على هذه الحال ، ورحت أتوسل إليه أن يخفف العقاب ، قائلا ما ذنب هؤلاء وأين تذهب هذه البنت ؟ وكيف تطعم الأم هؤلاء الصغار ؟

ونظر إلى طويلا وهو يتفكر ثم قال : « ولكنه مختلس وإنه يسلب حق المجتمع ، إننى تلقاء اختلاس محض ... ألم يكن يعلم هذا المختلس السافل أن له زوجة وبنتا وأطفالا ؟ »

وقلت ناشدتك الله أن تعفينى من سماع هذا كله — ماذا يصنع هؤلاء وما جريرتهم ؟

وتنهد وقال أنت لاتصلح أن تكون قاضيا . فقلت يرحمك الله ما سألت أحدا أن يجعلنى قاضيا ، ولو أعطيت أضعاف ما أعطى أجرا على عملى ما قبلت أن أكون قاضيا وإلا فقد أطلقت كل مستعطف ودفعت ماأقبض من أجر لكل باك متوسل .

وضحك قريبى وقال: لم أرفع المذكرة إلى الوزير بعد وسأقترح خصم نصف مرتبه وإنذاره بالرفت ...

وأسرعت إلى الحجرة فما كدت أفضى إليها بهذا النبأ حتى أقبلت على تريد أن تقبل يدى ، فحلت بينها وبين ذلك فى رفق ثم سألتها كيف تعيش الشهر بنصف المرتب ؟ فقالت « وعد إخوانه إن وصل الأمر إلى هذا أن يجمعوا له إعانة ... ولكنى لن أرضى بهذا وسوف أبيع صيوان اللابس . »

وخرجت ولست أنسى أبدا نظرة الشكر فى عينيها وعينى بنتها ، وعدت إلى قريبى فنظر إلى يسخر من ضعفى وأعاد على قوله : أنت لا تصلح أن تكون قاضيا . وابتسمت وأجبته ولكننى كسبت القضية .

وإياك أن تسخر من ضعفى أيها القارىء ، وخير ما أرجوه لك أن تكون ضعيفا مثلى وإن لم تبلغ فى الضعف حد البكاء .

الخفيف

تعقيبات

جناية أدبية :

لكل شيء في مصر حمى يرعى من رادع القانون أو زاجر الضمير أو حرمة التقاليد إلا مسألة الملكية الأدبية ، فإنها لا تزال كالكلأ المباح ينتهبه الناهبون تحت سمع الناس وبصرهم في غير تحرج ولا تأثم ، وكأن أثر الفكر ، وهو الغالي العزيز ، كتب عليه في هذا البلد أن يكون كالطفل اللقيط ، يصح لأي عقيم من الناس أن يتبناه ...

على أني قد أستسيغ انتهاب الأثر الفكري يتأتى من جاهل يريد أن يتحلى بالانتساب إلى العلم ، لأنه يكون كجرم الجائع إذ يسرق ليأكل ، ولكن كيف يستساغ هذا الجرم من عالم يجب أن يتحلى بأمانة العلم وكرامة العلماء ، وبخاصة إذا وقع من الحي نحو الميت ، ومن الصديق مع الصديق ، وكان الأمر في هذا معلوماً لسائر الناس ؟

وهذه قصة من قصص الجنايات الأدبية التي تقع كثيراً في مصر ، ولكنها غريبة في أطوارها مريبة في تفصيلها ، وإن الأمر فيها ليتجاوز كل ما ألف الناس في هذا السبيل .

يرجع الفصل الأول من هذه القصة إلى أكثر من عشرين عاماً مضت ، إذ كان أستاذنا وصديقنا الأستاذ محمود مصطفى رحمة الله عليه قد تملكته الرغبة في نقل كتاب قصص إلى اللغة العربية بأسلوب جزل يقوى ملكة الإنشاء في الشباب ويقوم ألسنتهم في التعبير ، وما كان الأستاذ محمود مصطفى يعرف لغة أجنبية ، أو قل إنه كان لا يدرك من ذلك القدر الذي يعينه على النقل والترجمة ، ولكنه رأى أن السيد مصطفى لطفي المنفلوطي وهو أيضاً لم يتعلق بلغة أجنبية قد نقل إلى العربية عدة روايات عن الفرنسية وغيرها ، إذ كان يعتمد في هذا على مترجم ينقل له نقلا حرفياً ، ثم يأخذه فيصقله صقلا عربياً مبيناً ، بعد أن يتصرف فيه على هواه ويجري به في السرد كما يرى ، ومن ثم قوبلت روايات المنفلوطي هذه بالارتياح والتقدير من ناحية أسلوبها العربي ولكنها قوبلت بالاستنكار من ناحية ارتباطها بالأصل الأجنبي ، حتى قال أحد الأدباء إن من الخطأ والإسراف أن يسمى المنفلوطي عمله هذا نقلا وترجمة وإنما الأحرى أن يسميه مسخاً وتشويهاً .

ثم كان أن نهض الأستاذ الزيات (صاحب الرسالة) بترجمة « رفائيل » و « آلام فرتر » عن الفرنسية بأسلوب عربي هو أسلوب الزيات ، وفي رعاية دقيقة للأصل الأجنبي مكنه منها حذقه للغة الفرنسية ، فقوبل هذا العمل ببالغ التقدير والثناء في الدوائر الأدبية ؛ وكان هو الباب الذي دخل منه « الزيات » إلى ما بلغ من مجد أدبي .

وعلى نهج الأستاذ الزيات أراد أن يسير الأستاذ محمود مصطفى في تنفيذ رغبته ، وأن يراعي في نقل الكتاب الذي يريد نقله دقة الارتباط بالأصل الأجنبي حتى يتقي ما وجه إلى المنفلوطي من نقد وأن يكسب ما كسب الزيات من تقدير ، وقد كان واختار « يوميات الفيلسوف القانع » واعتمد على الأستاذ أسعد عبد الملك — وكان زميلا له في وزارة المعارف — في نقل هذا الكتاب نقلا حرفياً ، ثم ترك أهله وداره وسكن مصر الجديدة ليتفرغ إلى صقل الكتاب في الأسلوب الذي يريد ، وقد تم له ما أراد وظهر الكتاب في طبعته الأولى وعليه اسم الأستاذ محمود مصطفى — وفيه أسلوبه وروحه وجهده ، وإلى جانبه اسم الأستاذ أسعد عبد الملك الذي نقله عن الفرنسية نقلا حرفياً ... وكان الأستاذ محمود مصطفى شديد الاعتزاز بهذا الأثر ، وكان يحدثني كثيراً عما لاقى فيه من العناء ، وقال لي : لا تحسب يا فلان أن الترجمة الصحيحة عمل سهل ، بل إنه عمل أشق من التأليف ...

وفي هذه الأيام ظهر كتاب « يوميات الفيلسوف القانع » في طبعة ثانية ، ولكنه يحمل اسم الأستاذ أسعد عبدالملك وحده ، ويعلل حضرته هذا الاستئثار بملكية الكتاب بأنه أولا رأى أن أسلوب الكتاب في طبعته الأولى أشبه بأسلوب الجاحظ وابن المقفع وكتاب الصدر الأول فعمد إلى تبسيطه وحذف ما فيه من كلمات وتعبيرات رآها غريبة عميقة مما لا يناسب روح العصر كما يقول ، ومن جهة ثانية لأن الأستاذ محمود مصطفى نزل له عن الإسهام في الترجمة بعقد مؤرخ في ٥—٩—١٩٢٧ م .

أما مسألة تغيير الأسلوب فإنها جناية على الأستاذ محمود مصطفى لأنه مسخ لجهده ، وجناية على الكتاب لأنه حط من قيمته ، على أني قابلت بين الطبعتين فلم أر هذا التغيير إلا في كلمات وتعبيرات كان الأستاذ محمود مصطفى يشرح معناها ، فحسبها

صاحبنا غريبة لا تلائم العصر .

وأما مسألة العقد فقد حدثني الأستاذ محمود مصطفى رحمه الله أنه لما فرغ من الكتاب اتفق مع زميله على أن يتقاضى منه قدراً من المال وينزل له عن الحق المادي فيه ليتولى هو تصريفه وجمع نقوده ، لأنه لا يصبر على المساومات المادية ، وقد كان هذا شأن الأستاذ محمود مصطفى في جميع ما ألف من الكتب ، وهب أن الأستاذ مصطفى نزل عن حقه الأدبي فهل يكفي هذا العقد لنقل هذه الملكية ، وهل يصح يا أخي لدور النشر التي تشترى حق تأليف الكتب من المؤلفين أن ترفع أسماءهم من عليها وتدعى أنها من تأليفها وعبقرية أموالها ؟!

إنه في الواقع عمل غير مستساغ ، إنها تجارة بأكفان الموتى إنها جناية أدبية أضع تفاصيلها تحت الأنظار ليرى الناس فيها رأيهم

أستاذي يا صاحب الرسالة . أرجو ألا تغير حرفاً من هذا الكلام فيما يخصك أو يخص غيرك ، فإنه حق الأدب والتاريخ ، وإني لأكتب للأدب والتاريخ ، وقد عاش الأستاذ محمود مصطفى يقاسي أهوالا من الجحود ، وأنا لا أرضى — وأنا تلميذه الوفي — أن يلاحقه هذا الجحود في قبره ، نضّر الله قبره ، ورحمه رحمة واسعة ...

ولكنها الأوضاع المقلوبة :

كتب صديقنا الأديب الأستاذ «وديع فلسطين» في جريدة الأنذار التي تصدر بإقليم المنيا يقترح على جامعة فؤاد الأول أن تأخذ بتلك السنة التي استنتها الجامعات الغربية بمنح الأفذاذ من العلماء والساسة درجة الدكتوراه الفخرية دون أن تكلفهم إعداد رسالة خاصة أو أداء امتحان شفهي كما يحدث مع سائر الذين يظفرون بالدكتوراه .

وبعد أن سرد الأديب أسماء بعض العظماء الذين منحوا الدكتوراه الفخرية من الجامعات الغربية والأمريكية مثل ارثيس ترومان والمستر مارشال والمستر بيفن والدكتور تشارلس واطسون والدكتور فارس الخوري ممثل سوريا في مجلس الأمن قال : « أما في مصر فلا نكاد نشعر بأن جامعاتنا تقدر هذه الدرجة الفخرية ، ولذلك لم تمنحها إلا إلى أفراد لا يتجاوز عددهم ثلاثة أو أربعة مع أن في مصر عشرات من الأدباء والعلماء والساسة الذين يخلق أن تفكر الجامعة في منحهم الدكتوراه الفخرية أمثال الأساتذة عباس العقاد وفؤاد صروف وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات وأنطون الجميل باشا وخليل ثابت بك وخليل مطران بك ومحمود تيمور بك وإسماعيل صدقي باشا وعبد العزيز فهمي باشا ، فإن جميع هؤلاء وغيرهم يستحقون عن جدارة أن تكرمهم الجامعة هذا التكريم الرمزي بأن تمنحهم شهادة الدكتوراه الفخرية اعترافاً منها بالخدمات الجليلة التي أسداها كل منهم في ناحية من نواحي الحياة العامة » .

وهذا اقتراح حميد في ذاته ، وأنا أرجو أن تأخذ الجامعة بهذا التقليد ، لا لأن الدكتوراه سترفع من قيمة هؤلاء الأساتذة ، بل لأنه سيكون دلالة على أن الجامعة عندنا قد نضجت وأنها تحسن تقدير القيم الفكرية وتعترف للموهوبين بمواهبهم ، وإلا فإن هؤلاء الأساتذة قد أخذوا مكانتهم في تقدير الأمة وفي تقدير الأجيال القادمة ، ولن تستطيع أية دكتوراه في العالم أن تفرض لإنسان مكانة في هذا وإن فرضت له مكانة في وظائف الدولة وأفسحت له مكاناً في مكاتب الحكومة ...

ولكني أرجو أن لا يتم هذا التقليد في هذه الآونة ، لأننا في وقت أفسدت فيه السياسة الحزبية عندنا كل تقدير وكل تصرف ، ولعل لنا في مسألة اختيار الأعضاء لمجمع فؤاد اللغوي أكبر عبرة ، فقد رأينا كيف يختار فلان وفلان أعضاء في هذا المجمع ، على حين ينسى ويهمل الذين هم أهل لهذا من العلماء والأدباء ، ولولا أن أكون عياباً — كما يقول شيخنا الجاحظ — لضربت بالقول رأس فلان وفلان ممن لا يصح أن يكونوا من أهل هذا المجال قلامة ظفر ، ولكن السياسة الحزبية أصرت على أن تربطهم رغم العلم والأدب بهذا المجال .

وكذلك الشأن لو أن الجامعة أخذت بهذا التقليد المقترح ، فإني أتوقع أن تجرى الأمور على ما عرفنا وألفنا ، وسينال الدكتوراه الفخرية كل من هو على شاكلة فلان وفلان ، ولن ينالها أولئك الأدباء والعلماء والساسة الذين ذكرتهم .

يا سيدي . اترك الملك للمالك كما يقول أبناء مصر ، وأنشد مع المتنبي :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطي من أهل السواد يدرس أنساب أهل الفلا

فنحن في كل أمورنا ما زلنا نأخذ بهذه الأضحوكة ، بجعل تدريس أنساب العرب لكل نبطي أعجمي من أهل السواد ، ونعوذ بالله من انعكاس الأوضاع ، وانتكاس الأوجاع .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

بين الشباب والشيوخ :

مسألة الشيوخ والشباب فى الأدب بمصر ، مسألة قديمة ، ظهرت بوادرها منذ سنين ، إذ هبَّ بعض أدباء الشباب يعلنون أن الشيوخ يستأثرون بمجالات الأدب ، ويتجاهلون الشبان ، ويسدون عليهم الطرق ؛ وقامت إذ ذاك معركة كان هجوم الشباب فيها عنيفاً ، ودفاع الشيوخ متثاقلا غير مكترث ... وسكن عجاجها : ولكن دواعيها وآثارها بقيت كامنة ، تبدو فى أحاديث المجالس وخاصة بين الشباب ، وتحجم عن الظهور فى كتابة منشورة ، لأن فرقاً من الشباب قد انطووا تحت ألوية الأدباء الكبار ، وخاصة من رأوهم بحيث يقدمون ويؤخرون ، وينفعون وقد يضرون ... ومن الشباب من لم يستطع أن يعلن ثورته ، لأن المشرفين على النشر من الشيوخ لا يمكنون له ، إما مجاملة ، أو لأن ما يكتب يندّ عن الأسيقان

استقرت الحال على ذلك ، ودامت الهدنة طيلة السنين الماضية ، ولكنها الآن أعيدت جذعة ... فمن أثارها ؟ أهو الدكتور طه حسين بك فى « هلال » يونية الماضى ، أم الأستاذ سيد قطب فى « العالم العربى » هذا الأسبوع ؟

قال الدكتور طه فى مقاله بالهلال : إن الشباب يقولون للشيوخ أفسحوا لنا الطريق إلى الأدب والعلم والفن ، والشيوخ لا يصدون الشباب عن أدب أو علم أو فن ، وتساءل : أليس من الممكن أن يكون ما ينفسه الشباب على الشيوخ إنما هو ما قد ينتجه الأدب والعلم والفن من إقبال الناس على الشيوخ أكثر مما يقبلون على الشباب ؟ وقال إن الشهرة لا تكتسب إلا بالعمل الشاق ، والمال يسعى إلى العاملين وهم أشد ما يكونون ابتذالا له واستهزاء به . والشيوخ فى طريقهم إلى الراحة الموقوتة أو الدائمة ، والشباب فى طريقهم إلى أن يأخذوا مكان الشيوخ ، والذوق كل الذوق ألا يتعجل الأبناء مصارع الآباء ، والخير كل الخير أن تقوم الصلات بين الأجيال على المودة والحب لا على التنافس الذى يحفظ القلوب ويفسد الضمائر

مرَّ هذا الكلام عابراً سالماً أربعين يوماً ، ولكن الأستاذ سيد قطب عده اعتداء على دولة الشباب ، فأعلن بدء المعركة بين الشبان والشيوخ فى العدد الأخير من مجلة العالم العربى ، قال إنه يواجه الدكتور وسائر الشيوخ بالحقيقة التى يحسها الشبان ويرددونها فى ندواتهم ومجامعهم : « إن هذا الجيل من الشيوخ قد تخلى عن أمانته ، لا لذلك الجيل من الشبان فحسب ، ولكن للوطن ، وللمجتمع ، وللإنسانية ، وأخيراً للضمير الأدبى كله »

وبين هذا التخلى عن الأمانة بأن شيوخ الأدب لم يرعوا قضايا الوطن المعلقة فى خلال الحرب الماضية ، وإنما انصرفوا إلى الدعاية لقضية المستعمرين فى الإذاعة والصحف والكتب ابتغاء الذهب ، وإيثاراً للذائذ الخاصة على مصائر الأوطان ومصالح الأقوام .

ولما وضعت الحرب أوزارها لم يكونوا فى نصرة الشعوب العربية التى نهضت تطالب بحقها ، ولم يكونوا في الميدان القومى ، بل كانوا فى ميدان الحزبية أبواقاً لها ... ولم يناضلوا لتحقيق العدالة الاجتماعية إلا قلة منهم استجابت فى تخاذل لهتاف الشعب ، واندفعت الكثرة وراء أرستقراطية مصطنعة تتظاهر بها ، ووراء رخاء مادى تناله من ذوى السلطان والثراء ، ثم قال : « هجرتم صحفكم الأدبية العلمية النظيفة ، ورضيتم صحفاً أخرى ، وواعدتمونا هناك ، حيث لقيناكم وبجواركم الأفخاذ العارية والموضوعات القذرة » وقال : « إننا لم نجد عندكم الضمير الأدبى الذى كنا نتخيله فى الأساتذة الموقرين . فأنتم لا تحاولون أن تبرزوا على المسرح إلا أذيالكم وبطانتكم ، والذين يؤدون لبعضكم خدمات شخصية قد لا يؤديها الرجل الشريف ! .. وإننا معذورون إذا شككنا فى شهادتكم لبعض الناس ، وفى إغفالكم لبعض الناس ! »

وهذه التهم التى وجهها الأستاذ سيد قطب إلى شيوخ الأدب صحيحة فى جملتها ، وإن كان قد بالغ فى بعضها واشتط فى بعض ..

ولكن هل هى القضية بين الشبان والشيوخ فى الأدب ؟

لقد كان كلام الدكتور طه فى هذه القضية ، أما الغارة التى شنها الأستاذ قطب ، فليس من العدل أن يُخص بها الشيوخ دون

الشبان ! لأنها قضية الوطن مع الأدباء عامة شيخهم وشابهم ، وإن كانت تبعة الشيوخ فيها أكبر ، بحكم الإقبال عليهم في الأعمال التي أخذها عليهم ، وبحكم مكانتهم والثقة بهم . ولم يكن فيما قاله من قضية الشبان والشيوخ في الأدب إلا ما جاء في الفقرة الأخيرة من أن الشيوخ لا يبرزون على المسرح إلا أذيالهم وبطانتهم ، وأنهم ينحرفون في شهاداتهم لبعض الناس وفي إغفالهم لبعض الناس . ولكن كيف فات الأستاذ قطب أن هؤلاء الذين يسميهم أذيالا وبطانات من الشبان الذين يقود المعركة باسمهم ضد الشيوخ ؟

الاتحاد الثقافي المصري :

عرف القراء مما كتبناه في العدد الماضي من الرسالة ، أنه تقرر أن يقام الاتحاد الثقافي المصري على أنقاض الاتحاد المصري الإنجليزي المنحل

ونضيف الآن إلى ذلك أنه تجرى الآن تصفية أمتعة الاتحاد القديم ومحتوياته ليأخذ كل عضو لا يرغب في الانضمام إلى الاتحاد الثقافي — ما يستحقه نقداً أو عيناً ، وفي جملة هذه الأشياء مكتبة الاتحاد ، وهي مكتبة قيمة تحوى عدداً كبيراً من المؤلفات العربية والإنجليزية ، وأكثر هذه المؤلفات تتناول الموضوعات المصرية من مختلف نواحيها ، وكانت الفائدة الوحيدة التي جنتها مصر من ذلك الاتحاد ، استفادة الشباب المثقفين المصريين الذين انضموا إليه من تلك الكتب

وقد أثير موضوع مكتبة الاتحاد قبل نشأة فكرة الاتحاد الثقافي ، من حيث مصيرها والأسف عليها ، فلما استقر الرأي على تكوين الاتحاد الثقافي ، هشت نفوس الآسفين لملاءمة المكتبة لفكرة الاتحاد الجديد ... ولكن التصفية ستحتم عرضها للمزايدات والمساومات ... وهنا تبدد أمل النفوس الهاشة ، ولا يزال الأمر موضع التفكير

ونحن نعلم أن من بين الأعضاء المصريين من كانوا يهبون المئات والآلاف لحفلاتنا الأعزاء ... ولإنشاء نادي الملهين الذي انكشف بعد الجلاء عن عراء ... ولما أضيفت إلى (الملهين) ميم (المعلمين)[1] كانت كهم المساكين ، ومن أولى بالعراء من المساكين ؟

فهلا تفضل أولئك الواهبون بأقل مما كانوا يهبون لإنقاذ المكتبة ؟

ولكن الأمل ضعيف في هؤلاء ، فما لهم أحب إليهم من العلوم والآداب والفنون ، ولا أحسبهم سينضمون إلى الاتحاد الثقافي ، ولا بأس بذلك فحسبنا الشباب المثقفون ومن في حكمهم من الشيوخ ، أما المكتبة فيمكن فداؤها بجزء من ألف الجنيه التي كانت الحكومة تمنحها سنوياً للاتحاد القديم ، وتستمر على منحها للاتحاد الثقافي الجديد .

هذا وستدعى الجمعية العمومية من الأعضاء المصريين إلى الاجتماع في أوائل أكتوبر القادم ، لتكوين الاتحاد الثقافي . والفكرة السائدة أن أعضاء مجلس الإدارة سيكونون جميعاً من المصريين ، وأن غير المصريين الراغبين في الانضمام إلى الاتحاد يعتبرون أعضاء منتسبين .

بقي أمر يجب أن نفضي به إلى المشرفين على تكوين الاتحاد الثقافي ، ذلك أنه ، وقد هدأت الحالة النفسية التي نشأت مما حدث في الاتحاد القديم والتي كان من نتيجتها الشعور الحاد بالمصرية ، يجب أن نشرك شقيقاتنا العربيات في الاتحاد الثقافي ، ويكون اسمه « الاتحاد الثقافي العربي » لأن العرب جميعاً يتجهون إلى الوحدة الثقافية ، بل هي واقعة فعلا ، وجميع الآراء متفقة على تنمية هذه الوحدة ، وأنها ألزم أنواع التعاون العربي لصالح جميع الأمم العربية .

الشعر والصور :

تتحايل مجلات اللهو والتسلية بشتى الحيل والمبررات على نشر صور النساء المغرية بأوضاعها المثيرة ... فهذه ذات نظرة فاتنة ، وهذه ترجل شعرها بطريقة مبتكرة ، وهذه تداعب كلبها ، وهذه صاحبة أجمل (مايوه) وهذه تبدو في (مايوه سنة ١٩٤٧) وهذه لا يرضى عنها الشيخ أبو العيون ...

ولم يقتصر على ذلك نشاط الصحفيين المشتغلين بهذا النوع من الصحافة ، بل امتد إلى الشعراء يستعينون بهم على جديد في ذلك المضمار ...

(١) كان نادي الملهين في يد الانجليز ، فلما جلوا عن القاهرة سمي (نادي المعلمين) .

— ما رأيك يا أستاذ فى هذه الصورة ؟

— وجه حالم .. يوحى بالشعر !

وينزل (الوحى) على الشاعر فيكون « جوازاً » لنشر الصورة ... وقد أكثرت تلك المجلات فى الأسابيع الأخيرة من نشر هذه الصور مع أشعار الشعراء ، وقد لا يرى فى ذلك بأساً من ينظر إلى المسألة من الناحية الفنية البحتة ، ولكن الواقع أن ما ينشر من الشعر على هذه الطريقة لا يرضى الخاصة ولا يعجب العامة ، لأنه مصنوع لا يعبر عن عاطفة ولا ينبىء عن إحساس ، إنما يقال بدافع الرغبة فى شىء ينشر ، فهو أشبه بتصريحات بعض الكبار للصحفيين التى تكذب فى اليوم التالى ، لأنهم ارتجلوها ثم رأوا أنها لا تليق بهم !

ذكرى محمد عبده :

احتفل فى هذا الأسبوع بذكرى المغفور له الشيخ محمد عبده فنشرت الصحف وبعض المجلات كلمات تناولت صاحب الذكرى من نواحيه المختلفة .

والشيخ محمد عبده حقيق بالذكرى ، والناس فى حاجة إلى دروس من حياته ، فقد كان من أوائل المجددين فى العصر الحديث . جدد فى الفكر الإسلامى ، وكان ممن حرروا الكتابة العربية من تكلف السجع ، فقد عدل عما بدأ به من التزامه ، فأرسل كتابته طليقة منه ، فساهم بذلك فى رقى الأسلوب الكتابى وخلوصه من أغلال الصنعة ؛ وقد كان الفضل فى ذلك لتوجيه أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى الذى كان يدعو تلاميذه إلى صرف الجهد عن الزخارف اللفظية فى الكتابة إلى تأدية المعانى والأفكار مع إحكام التعبير ...

ومن آثار الشيخ محمد عبده الأدبية « شرح نهج البلاغة » و « شرح مقامات بديع الزمان » وكتابته فى مؤلفاته ورسائله الخاصة تضعه فى صفوف البلغاء من الكتاب . وتمام صفاته الأدبية براعته فى الخطابة ، فقد كان من خطباء الثورة العرابية البارزين الذين قادوا الجماهير وغرسوا فى النفوس بذور القومية المصرية ...

ذكرى حافظ :

فى مثل هذا اليوم الذى يصدر فيه هذا العدد من الرسالة أى فى (٢١ يولية سنة ١٩٢٢) نعى حافظ إبراهيم ، فنحن اليوم فى ذكراه الخامسة عشرة ، وليت شعرى ماذا يفعل قومنا فى إحياء ذكرى هذا الشاعر الذى قاوم الاحتلال بشعره ، والذى وضع سيفه فى الجندية المغلوبة على أمرها ، وشهر سيفاً آخر لم يكن إلا شعره ، ووجهه إلى صدور المحتلين .

ما أحوجنا اليوم وفى هذه المرحلة التى تمر بها قضية الوطن قاصدة نحو تمام التخلص من احتلال وادى النيل — إلى ذكرى شاعر النيل وإلى شعره الوطنى الذى عبر به عن آلام بلاده وآمالها داعياً إلى الجهاد لتحريرها وإصلاح عيوبها ورفعة شأنها .

وما أحوجنا اليوم ، وفى هذه الآونة التى اتجهت فيها الأمم العربية نحو الوحدة والتضامن فى الدفاع عن حقوقها إلى ذكرى حافظ إبراهيم الذى دعا إلى الوحدة العربية ، وقال الشعر فى شئون الشرق والإسلام ، وغرد فى حفلات التكريم العربية الجامعة .

وما أحوجنا اليوم ، وقد استراح شعراؤنا من الوطنيات والقوميات و « الناسبات » وتملقوا بذيل فكرة « الفن للفن » إلى الانتفاع بذكرى حافظ إبراهيم .

« العباس »

هوى وفقر

للمرحوم التجانى يوسف بشير

سما بالهوى فقرى ومن لك بالهوى
سماوى معنى كله أبداً نبل

هوى ساوقته النفس والشعر فانتمى
إلى القلب واستولى مقاوده العقل

وهبت له نعمى الحياة وزدته ... ذخائر أسرار الفائن من قبل
وهبت له الدنيا فأثرى ولم أهب ... له التبر منها إن مشرعه ضحل
عجبت لها كم ذا أروح وأغتدى ... على ظمأ، يروى سواى ويبتل
وما بى ما أملت منها وإنما ... تخيرت من دنيا الصبابة مايحلو

ولى فى كنوز الروح سلوى وغنية
بحسبى لا خلف لديها ولا مطل

غفرت لها أنى شقيت وأنها ... يصح بها مرضى النفوس وأعتل
وهل كان ما أسموا نضاراً وفضة ... وما كاثروا الدنيا به وهم قل
وما وهموا فيه الزمان ولم يزل ... يقدس من ريحانه العلم والجهل
سوى الترب وطأناه وانا فصكه ... دنانير لم يأخذ بناصرها العدل

ضللنا وساءرنا خداعاً وبهرجاً
ونكب عن نهج الحقيقة من ضلوا

جراح !

للأستاذ محمد برهام

ياويح نفسى . هل عمرى سأقضيه
على الأسى، وشبابى الغض أطويه ؟

يقال لى « كل ما فى الكون مبتسم »
فما لعينى أصابت ظلمة فيه ؟

لا الخرد الغيد تسبينى ملاحتها ... ولا الرياض بمرأى الطرف تسبيه
أعمى وماهو أعمى، غير أن رؤى ... عن الجمال، ودنيا الحسن تقصيه
ليت الذى سر من دنياه ينصت لى ... حتى أقول الذى عندى وأمليه
أمشى وئيداً بأعصاب محطمة ... ومن يرانى خطوى ليس يرضيه
يترحم الخطو تصميراً، فيظلمنى ... بالقول يطلقه، والذنب يلقيه
ترى رديئاً، ولو لم تقض عن عجل ... لكنت بالخير لا بالسوء ترميه
ذهن ملول، فإن يوكل له عمل ... بروح ينقضه طوراً، ويبنيه
يستحسن الليل مالم يستسغه ضحى ... والرأى يرجع عنه، ثم يبديه
إنى أطل بمنظار برمت به ... على الوجود وصرف الدهر يهديه
قد أعجز الكون فى شتى محاسنه ... عن أن يسوق لعينى أى ترفيه
حاولت تحطيمه لكن حلوكته ... أخشى تدور على جهدى فتفنيه
فما حياتى أسواناً ومغترباً ... إن المليل جوار الناس يشفيه
دعنى من الناس أدناهم وأبعدهم ... كل أقل. شكاة منك تؤذيه
فداو نفسك بالسلوان عن أمل ... ظللت عمرك مخدوعاً ترجيه
واهاً لدمع يد الآلام تدفعه ... إلى الأمام، وكف الحزم تثنيه
هو الصديق الذى أشكو فيرحمنى ... ويعلم السر فى همى ويخفيه

أحلام وردة

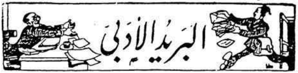
للأستاذ أحمد عبد الحفيظ سلام

هات يا صبح ورقرق ... فى رياضى نسماتى
وابعث الأضواء ترقص ... حول غصنى ومضاتى
وانثر الطل على كأسى ... وتوج ورقاتى
إننى تفترت من فجر ... حياتى أمنياتى
ربما أنساق من مهدى ... إلى شمر فتاتى

أيها الجدول واف ... الروض بالرى النمير
واقذف الموجات فى شطى ... ولطف من هجير
واسق أغصانى وسلسل ... نفحاتى وعبيرى
إننى رقشت من أضواء ... أحلامى مصيرى
ربما اهتز من سحر ... الهوى فوق الصدور

خضبى يا شمس من لألائك ... الباهى وشاحى
والثمينى يا فراشاتى ... بأهداب الجناح
واسكبى الأنفاس فى ثغرى ... كأنفاس الصباح
كى أغنى فى هوى أطياف ... البيض الوضاح
زهرة يروى شذاها ... صدر أصحاب الجراح

غنى يا طير وردد ... نغمة المشاق غنى
واملأ الكون فإنى ... منك قد ألهمت فنى
حينما تهتز بالألحان ... يا صداح دعنى
أنظم الفن الذى ... ينساب من وحى المرن
كى يدوى فى عالم ... الأحباب منى



أسف واعتذار :

منذ أسبوعين انتقلت إلى الإسكندرية ، وكان يشرف على تحرير الرسالة صديقنا الأستاذ على الطنطاوى ؛ ولكنه اضطر فى آخر الأسبوع الماضى أن يعود فجأة بالطائرة إلى دمشق . فى هذه الفترة التى ارتفعت فيها الرقابة منى ومنه عن المجلة نشرت فى (تعقيبات) كلمة ينكرها الذوق والحق فى صديقنا الأستاذ الجليل أحمد أمين بك . وليس فى موضع الإنكار النقد فى ذاته ؛ وإنما موضعه ذلك التهكم الكاذب الذى لا يجوز فى رجل يعد عاملا من عوامل النهضة الفكرية ، ومفخرة من مفاخر مصر الحديثة

فنحن نأسف لنشر هذه الكلمة بهذا الأسلوب . ونعتذر لصديقنا الأستاذ من خطأ لم نكن طرفاً فيه ، ولم يكن فى مقدورنا تلافيه ...

رئيس التحرير

إلى الأستاذ (أبو بكر النمرى) :

أرسلت إلىّ ردك الطويل على تعليقى القصير فرأيت ألا أنشره حتى لا يتشكك القراء فى نيتك حين يرونك تنقل الحديث من الأدب إلى الدين ، وتثير الجدل بين عيسى ومحمد . ولا أدرى مالك ولهذا كله وأنا حين أشرت فى كتابى (دفاع عن البلاغة) إلى غثاثة الترجمة الأمريكية للتوراة والإنجيل لم أكن بسبيل البحث فى رواة المهدين مَن هم ، ولا فى اللغة الأصلية (للأناجيل) ما هى ، ولا فى الترجمات المختلفة للكتابين المنزلين أيها أبلغ ؛ إنما كنت بسبيل التدليل على إفساد الترجمة الحرفية الركيكة لبلاغة الأصل ، فضربت المثل بهذه الترجمة المتداولة بين الناس للتوراة والإنجيل ، وهما فى اعتقادنا من كلام الله أنزلها على موسى وعيسى بلسان قومهما فى صورة من صور البلاغة تناسب المتكلم الأعلى . والترجمة الأمريكية وهى التى قصدناها ليس فيها من العربية غير الألفاظ ، أما أسلوبها فغريب عن أساليب اللغات على الرغم من أن الذين نقحوها كانوا من أفاضل الأدباء النصارى .

ذلك أصل الموضوع ، وهو بهذا التحديد لا يقبل الجدل ، لأن قضية الترجمة الحرفية صادقة ، ولأن الترجمة الأمريكية ركيكة . أما نقل المسألة إلى جهة الخلاف بين الأديان ، وتعارُض ما تعتقدونه مع القرآن ، فذلك موضوع رجاله من غير أهل الأدب ، ومجاله فى غير الرسالة .

(صاحب دفاع عن البلاغة)

من يكون أذن ؟

قرأت للأستاذ إحسان عبد القدوس مقالا بمجلة الصور العدد ١١٨٧ — مقالا تحت عنوان (بنات الصيف) ولست أجد وصفاً لذلك المقال غير أنه دعوة خليعة ماجنة ، وتحلل خلق يدنى من النهاية ، وخروج على تعاليم الإسلام الحنيف وآدابه ، فقد قال حضرته بالحرف الواحد : لست من الهاتفين فى موكب الفضيلة ، ولست من أنصار الشيخ أبى العيون ولا من دعاة الحشمة ... الخ (كذا والله) ولست أدرى ماذا يكون الإنسان إن لم يكن من الهاتفين للفضيلة أو من أنصار الشيخ أبى العيون أو دعاة الحشمة ؟ ؟ !

محمد محمد حسن الديب

إلى الشيخ أبى العيون :

يا سيدى : قرأت حديثك المنشور بمجلة آخرساعة ، ورأيت صورتيك الملتنين مع هذا الحديث .

فأما الحديث ، فلا غبار عليه ، ولا شيةَ فيه .

وأما الصورتان ، فعليهما ما عليهما ، وفيهما ما فيهما !

وأنا أعرف أن الصورتين ملفقتان . وذلك واضح لكل ذى عينين ؛ ولكن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً .

فإن كنت يا سيدى لم ترض بما كان فعلمهم أن يوقروا رجال الأزهر ، ويرعوا حرمات الدين .

وإن كنت يا سيدى — ولا إخالك — قد رضيت بهذا الأمر ، إيثاراً لذيوع الاسم ! وطمعاً فى بعد الصيت ! فوا أسفاه ! ثم وا أسفاه !

ابراهيم محمد نجا
العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية

١ — طرائف !!

طالعت العدد — ٥٦ من اقرأ « طرائف من الصحافة » للكاتب الصحافي محمد العزب موسى وبرزت لى من بين سطور الطرائف واللطائف « سخائف » لا تقل عن أختها طرافة ، أورد منها على سبيل المثال لا الحصر « سخيفتين » اثنتين فى الأخلاق واللغة ...

أما التى فى الأخلاق فهو قوله فى ص ٩٣ :

قالا « أمعك الآن مال فى الجيب الوقور »

قلت « نعم »

قالا « إذن هيا »

هيا إلى امرأة عجوز تعيش فى بار متواضع غير معروف لا تبيع فيه غير النبيذ الرخيص .. فدلفنا إلى بارها . وشربنا ثلاث زجاجات من النبيذ القاتل ... »

وكنا نظن أن الحديث الشريف « وإذا بليتم فاستتروا » له عند الأستاذ فى مجال الصحافة والتأليف مقام واحترام . ولكن المؤلف وهو الذى يبدأ اسمه بلفظة « محمد » يأبى الاعتراف بحديث محمد .. ولا يجد غضاضة فى عرض الحرام فى كتاب يطالعه من الشباب وغير الشباب ألوف وألوف ...

وأما الثانية — وهى فى اللغة — فكثيرة الوقوع فى أنهر الجرائد والمجلات الإخبارية التى لا تعنى بالأصل والصواب وإنما تقذفها إلى القراء وفيهم السذج البسطاء — قذفاً جزيئاً بلا تحقيق ولا تدقيق ، من ذلك ما وقع فى ص ٢٤ :

« كان أصحاب الصحف أخلاطاً من الناس وكانوا (ثقاة) فى الجهل .. الخ » فالأستاذ يجمع (ثقة) على (ثقاة) بالتاء المربوطة شأنها شأن (الدعاة والسعاة والبغاة ..)

٢ — المرأة والمساواة :

اطلعت فى العدد — ٧٢٨ من الرسالة الغراء على مقال « بين أدب المرأة وأدب الرجل » للكاتبة العراقية الفاضلة منيبة الكيلانى ، وليس بودى أن أتعرض للمقال فى قليل أو كثير وإنما أستسمح الكاتبة الفاضلة فى أن أقتطف من مقالها الماتع بعض أبيات لشاعرة من شواعر العرب لأقدمها إلى بنات الجنس أولئك اللائى يطلبن المساواة مع نقص الأداة ...

تقول الشاعرة عقيدة بنت عفان :

وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لاتعاب من الكحل !
ودونكموا طيب العروس فإنما
خلقتم لأثواب العروس والغسل !!
.. الخ

أقول إلى بنات الجنس أهدى هذين البيتين على لسان شاعرة لا شاعر يؤخذ كلامه على الظن والاتهام .. وهى بعد أبيات صريحة تقرر حقيقة المرأة ووضعها فى الأسرة الإنسانية إزاء الرجل ثم يأيها الدافعون عن حقوق المرأة من الرجال .. خذوا الحكمة من شعر الشاعرة ، فعند « جهينة » الخبر اليقين ...

٣ — فى قصيدة :

فى مجلة « العالم العربى » العدد الثالث لشهر يونيو الجارى قصيدة للشاعر السودانى المرحوم التيجانى بشير بعنوان « فى محراب النيل » فيها هذا البيت :

واستفاقوا يا نيل منك لنغم شجى من الهى ربابك

والقصيدة من الخفيف ، والبيت بصورته مكسور ، وأغلب ظنى أن الصواب فى الأصل ... فحبذا لو انبرى من إخواننا السودانيين من يدلنا على الصواب ، إحقاقاً لشاعرية الشاعر ، ودفعاً للشك العارض غير المقصود . والسلام

(الزيتون) عدنان

الى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى :

اسمح لى ياسيدى الدكتور بتقديم الأسئلة الآتية وأنت أهل لأن تجيب عليها بما يشفى الصدور :

١ — يذكر « التنويم المغناطيسى » محاطاً بالغموض والإبهام فهل هو علم ثابت الأساس أم شعوذة وإبهام وما مدى اتصاله بعلم النفس .

٢ — هل هناك من خطر فى تعلمه وإن كان هناك خطر فما هو ؟ وهل يتعارض والدين ؟

٣ — ألا ترى أنه يعصف باليقين بنتائجه الخارقة المدهشة ؟

هذه أسئلة نرجو أن يجيب عليها الدكتور مشكوراً .

« ج ع م »
كوستى السودان



أسطورة من روائع الأدب الروسى :

العمل والموت والمرض (*)

للفيلسوف الروسى العظيم ليو تولستوى

للأستاذ مصطفى جميل مرسى

« هذه قصة الإنسانية من قديم الأزل ... وقصة البشرية منذ فجر التاريخ ... تتجلى لنا فيها النوازع التى تضطرب بين أنفس البشر ، والعواطف التى تمور فى قلوبهم ، والنزوات التى تختلج فى أفئدتهم ...

تناولها تولستوى بيراعته البارعة الملهمة ، وعقله الفذ الجبار — وقد راعه ما بلغته حال العالم من شر وفساد — فتلمس بين تجاربه البعيدة فى الحياة ، ودراسته العميقة للنفوس وحياً طريفاً صاغ منه هذه القصة الرائعة ... التى تتمثل فيها — على بساطتها — الدعوة إلى « الحب والخير » ... وهى دعوة طالما نادى بها تولستوى ... بل ظل ينادى بها حتى أدركته منيته وقد بلغ الثمانين ... » « م . جميل »

إنها لأسطورة من تلك الأساطير التى يؤمن بها « هنود جنود أمريكا » ... ويتناقلونها خلفاً عن سلف ! .

حينما فطر الله البشر — كما يقولون — جعل الإنسان فى غير حاجة للعمل والسعى ! . فما تعوزه دار يؤوى إليها ولا ثياب يُلقيها على جسده يتقى بها لفحة الحر ونفحة القُر ... بل ما كانت تضطرب فى نفسه رغبة إلى طعام ولا شراب ! . فامتدت بهم الحياة مئات من السنين .. لا يعرف المرض إليهم سبيلا ..

فلما تجلى « الله » تعالى على الكون — بعد أن تصرمت حقب ودهور — لينظر خلقه كيف يعيشون .. ألفاهم — وقد حسب أن السعادة ضاربة بينهم أطنابها — يتشاجرون ويتضاربون . وراح كل منهم يعنى بنفسه دون رعاية لأخيه ... فساءت حالهم وفسدت دنياهم وحاق الشر بهم ...

(١) من كتابنا « روائع الأدب الروسى » يصدر قريباً

فحدث « الله » نفسه ، وهو يتدبر صلاحية لهذه الحال : « إن الذى أوردهم هذا المصير تفرقهم ، وعيش كل منهم على حدة ! » فهيأ الله أمور الحياة ، وجعل من المستحيل على الإنسان أن يحيا دون أن يجد ويعمل !

فسخر عليهم الحر والبرد حتى يسعوا فى طلب الملبس وبناء المسكن ! . وسلط عليهم الجوع حتى يفلحوا الأرض ويبزوها ما ركزت فيها الطبيعة من خيرات ورزق ويخرجوا منها الثمرات فيتخذوا فيها غذاء لهم ...

وانثنى « الله » يفكر : « إن العمل سوف يوحد بينهم ويجمع شملهم ، فلن يستطيع كل منهم أن يعتمد على نفسه فى صنع آلته وحمل أخشابه وبناء داره وغرس حقله وجنى محصوله ونسج ثيابه بعد غزلها ... وتهيئة طعامه ! . إن ذلك سوف يجعلهم يدركون أنه ما دام الاخلاص سيدهم والود رائدهم فى تعاونهم على العمل ! . فسيضاعف الله ما يأتيهم به من الخير والنعم . ويعيشون فى رغد وبلهنية ... وسوف يزيد ذلك من وحدتهم وتضامنهم فى الحياة ! ... »

***

دارت عجلة الزمن ، وتقضت الدهور سراعاً بعضها إثر بعض ... وعاد « الله » يقلب النظر فيما صارت إليه حال الخلق ... ورى إن كانوا فى عيشتهم سعداء أم ما برح الشقاء ينغص حياتهم ... فوجدهم فى حال أشد سوءاً مما كانوا عليه ... فقد أقاموا يعملون معاً — كما أرادهم « الله » فليس لهم من سبيل فى الحياة غير ذلك — بيد أنهم تفرقوا شيعاً وأحزاباً وانقسموا على أنفسهم جماعات تحاول كل منها أن تحرم غيرها من العمل وتعوقها عنه حتى تنفرد به وحدها ! . .

فراحوا يهدرون أوقاتهم فى نزاع لا نفع فيه وينهكون قواهم فى صراع لا طائل منه .. فاضطربت أمورهم واختلت حالهم ! ..

فلما رأى « الله » ذلك السوء الذى انحدرت إليه حال الخلق عزم على أن يهيىء أمور الحياة بحيث أن المرء لا يلم بالحين الذى توافيه منيته فيه . فيفاجئه الموت على غرة منه فى أية لحظة . ثم أوحى بذلك إلى الخلق .. وقال يحدث نفسه :

« إذا علم كل منهم أن الموت سوف يخترمه فى أى حين ..

داخلت قلبه الخشية ، وأشفق أن يضيع سـاعات العمر فى شغب وعراك لا يرتد بفائدة عليه ! . »

***

فلما آب « الله » — بعد أن طويت صفحات كثيرة من الزمن — ليراجع النظر فى أمور الخلق ، وكيف يعيشون .. ساءه أن يرى الشر قد اتسعت هوته واستفحل شأنه ! فقد أفاد هؤلاء الذين وهبتهم الطبيعة قوة وجبروتاً من الحقيقة الأبدية التى سنها الله للبشر ، ألا وهى أن الإنسان عرضة للموت فى أى حين . فسخروا أولئك الضعفاء وسلطوا عليهم نقمتهم ، فقتلوا منهم كثيرين وراحوا يهددون الآخرين بالموت ..

أصبح هؤلاء الأقوياء ينعمون هم وذريتهم دون أن يعملوا شيئاً ... ثم ما لبثت السآمة أن تسربت إلى نفوسهم من البطالة والعطل أما أولئك الضعفاء فلا يبرحون يعملون فوق طوقهم ويتلمسون شيئاً من الراحة فلا يجدونها ويتنسمون ريح السكينة فلا يصادفونها ..

فأخذ كل فريق يضج بالشكوى ويحمل ألواناً من البغضاء وصنوفاً من الحقد للفريق الآخر .. فازدادت الحياة سوء على سوء وتتابع الشقاء شراً إثر شر ! .

فلما أحاط « الله » علماً بما حاق بالخلق ، عقد العزم على أن يرأب الصدع ويقيم الأود .. فأخذ يتلمس وسيلة أخرى لذلك .. فلم يلبث أن سلط عليهم الأمراض والعلل .. وجعلها تشيع بين الناس فلا تذر واحداً منهم ! .

وظن « الله » أن البشر إذا ما اعتقد كل منهم أنه عرضة لأن يخر صريع المرض ضجيع الفراش ، فلسوف يدركون ما على الأصحاء من واجب الرحمة والعطف ، ومد يد المعاونة إلى من برحت بهم العلة واشتد عليهم السقم ، إذ أنهم — بدورهم — سيقعون يوماً ما فريسة للمرض ! . وحينئذ يلقون من جانب الآخرين شفقة ورحمة وعوناً . ! ومضى « الله » !

***

حتى إذا عاد لينظر حال الخلق ، وقد تفشى بينهم المرض .. رأى أن السوء قد استفحل أمره واستشرى شره ... فالمرض — وقد ظنه « الله » جامعاً لهم موحداً بينهم — أدى إلى تفرقهم وتنافر بعضهم ....

فأولئك الأقوياء الذين يسخرون غيرهم من الضعفاء فى العمل إضطروهم أيضاً إلى رعايتهم والعناية بهم حينما تنشب فيهم العلة أظفارها ! .. بيد أنهم لا يسمون إلى معاونة الضعفاء إذا ما مرضوا بل يبالغون فى إرهاقهم ، فلا يتيحون لهم فترة من الراحة للعلاج والشفاء ! .

وجعلوا لهم بيوتاً حقيرة فى عزلة عنهم ، يعانى فيها هؤلاء الضعفاء سكرات الموت ، ويلفظون بين جدرانها أنفاسهم الأخيرة بعيداً عن القوم المنعمين ، حتى لا يكدر منظر هذه الجموع التعسة الشقية — وقد أصابها المرض — متعة الأثرياء وبهجتهم ! ... وحتى لا تتسلل إلى أجسادهم العدوى من هؤلاء المرضى المكروبين ..

فقال « الآله » يحدث نفسه — وقد نفض يديه من أمور الخلق «إن كانت هذه الطرائق والأسباب لا تجعل من البشر من يفطن إلى مستقر سعادته .. فلندعهم يدركونها من بعد ما يعانون منها ما يعانون ! . »

وخلى الله بين الناس وبين أنفسهم ! .

***

عاش الناس حقباً طوالا فى بلاء مع أنفسهم ، قبل أن يدركوا أنه ينبغى عليهم أن يكونوا جميعاً سعداء ...

ففى القرون الأخيرة تجلى الخلق عن فئة من البشر ..

يعلمون حق العلم أنه يجب ألا يكون العمل كشبح مخيف لبعض الناس ، وكغنيمة خالصة للبعض الآخر ... بل يجب أن يكون مدعاة للتعاون لصالحهم ، ومبعثاً لخيرهم وإسعادهم ، وسبيلا لوحدتهم وتضامنهم ! ..

ويعلمون أن الموت ، وهو سيف مسلط على قارب العباد فى غير معياد ! .. لا يلائمه إلا العمل الحكيم ، فواجب كل إنسان أن يستفيد من سنوات حياته وأيامها وساعاتها بل ولحظاتها التى توهب إياها .. فيبذلها فى الخير والحب والتأليف بين القلوب !

ويعرفون أيضاً أن المرض — بدلا من أن يكون سبباً للتفرقة وأداة للتنافر بين الناس — يجب — على الضد من ذلك أن يؤدى إلى تهيئة المجال للمحبة والمودة ، والتعاطف والإيناس ...

« طنطا » مصطفى جميل مرسى